9me Année No. 401

Lundi - 10 - 3 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٠ مارس سنة ١٩٤١ » السنة الثامنة

الفهـــرس

صفحة		
٢٨١	الفكر و « السلطة » ...	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٢٨٤	السباعى بيومي يستر جنايته على المبرد بجنايته على الرصافى ...	الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٨٨	زكى مبارك يكتب كثيراً ولا يقول شيئاً	الأستاذ السباعى بيومي ...
٢٩٢	فى الغمد	الأستاذ جليل ... ...
٢٩٤	شكاة ونجوى	الأستاذ شكرى فيصل ...
٢٩٦	من سماحة الاسلام	الأستاذ كامل محمود حبيب
٢٩٨	بناءون منبون	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٣٠٠	التقليد فى الفنون أو نسخ « الكربون »	الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٠٢	من وراء المنظار	الأستاذ محمود الخفيف ...
٣٠٣	خصومة لا عداوة	الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٠٤	تصويبات	الأستاذ (ا. ع) ... ...
٣٠٥	صواب بيت	الأستاذ إبراهيم على أبو الخشب
٣٠٦	مازبا ... ... [قصة]	الأستاذ محمد محمد مصطفى ...

الفكر و « السلطة »

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءتنى هذه الرسالة من الأديب صاحب الإمضاء أجتزئ منها بما يأتى للتعقيب عليه . قال حضرته :

« ... ما قصدت بهذه الرسالة إلا إلى استجلاء نقطة دقيقة فى حياة الإنسان المفكر . وهى الصلة فى شخص الكاتب بين العقل الكبير مصدر الآراء النافعة التى يرسمها القلم البليغ وبين الطموح إلى السلطة التى هى وسيلة تنفيذ تلك الآراء الداعية إلى الهداية والإصلاح . ولا أعرف مدى طموحك وما تريد . غير أنى أعلم أنك تحمل عقلاً كبيراً وشخصية قوية ، ومن اجتمعت له الشخصية المؤثرة والعقل النفاذ ، لا بد أن يكون عنصر حب السلطة والقيادة من أقوى عناصر طبعه ... لقد جاهدت كثيراً فى ميدان الصحافة والأدب ، ثم بلغت مرتبة نائب ، فهل هذا منتهى جهدك ؟ يبدو لى أنك تبلورت فى مركزك الأخير !

« قد تقول إنك لم تسع إلى منصب القيادة الإدارية مكتفياً بالقيادة الفكرية والأدبية ؛ وقد تقول إن الرجل ذا الفكر الحر لا يمكن أن يطمع فى السيطرة والسيادة ؛ ولكن هذه بالذات هى النقطة التى أريد أن أبحثها معك . فهل يستطيع الكاتب

النابغة أن يعمل كما يكتب ، أم إن مهنة الكتابة والأدب تقتل فيه القدرة على العمل والتنفيذ ؟ يبدو لى أن الكتابة تقضي تدريجاً على قوة البناء والتنفيذ فى نفس الرجل ، وتنمى بدلاً منها قوة سلبية — إن جاز هـذا التعبير — حتى إذا اختمر فى رأسه مشروع أو فكرة عجز عن إبرازه إلا على الورق . وقد يعزى الكاتب نفسه بأنه يعمل عملاً إيجابياً من حيث تنوير عقول الغير ، ولـكن هذا غير العمل المباشر الذى يسعد المرء به عند تطبيق فكرة أو تنفيذ مشروع

« وقد كان ديزرائيلى كما تعلم أديباً وكاتباً ، وكان يقرض الشعر قبل أن يخوض ميدان السياسة ؛ ولـكنه كان يقول : إن الشعر هو صمام الأمان لنفسى ، غير أنى أريد أن أفعل ما أقول . وكان ديزرائيلى من أقدر وأبرع رجال الحكم الذين عرفتهم انجلترا فى تاريخها الطويل

« إنى أعتقد أن مصر بحاجة إلى رئيس حكومة من هذا النوع من الرجال الأدباء بطبعهم ذوى العقول النابغة . فما رأيك ؟ أرجو أن أسمع رأيك ، ولو كبدك ذلك كتابة رسالة إلىّ ، أو مقال « للرسالة » ، فإنى من قرائها المدمنين ، ولك منى ألف تحية ...

المخلص

« الاسكندرية » إلياس ابراهيم جدى

* * *

والمسوغ الوحيد عندى للتعقيب على هذه الرسالة هو أن أتخذ منها موضوعاً لدراسة نفسية ، وإن تناول هذا الموضوع شخصى فيما يتناوله من أطرافه وشعابه

فـكان الخطأ فى رأى الـكاتب — على ما أرى هو اعتقاده أن « السلطة » نهاية كل قدرة ، وأن السلطة والقدرة شيئان من معدن واحد ، أو شيئان لا ينفصلان

ولبيان هذا الخطأ نسأل : لماذا يطلب الإنسان السلطة ؟ وجواب هذا السؤال أنه يطلب السلطة لسبب من هذه الأسباب الأربعة : أولها أن تسخير الناس طبيعة فيه كالطبيعة التى تشاهد فى رأس القطيع بين الحيوانات الاجتماعية ، وفى هذه الحالة تكون السلطة عنده بمثابة الوظيفة الحيوية أو التركيب البدنى الذى لا علاقة له بقوى الفكر والروح . إنسان يسود لأنه لا بد أن يسود ، كالقوة المادية الدافعة التى لا بد أن تدفع غيرها ، فلا شأن لها بالتفكير ولا بالضمير

وثانى هـذه الأسباب أن الإنسان يطلب السلطة ليشعر بالامتياز ، وفى هذه الحالة يكون هذا الإنسان ناقصاً بين النقص إن لم يشعر بالامتياز من غير سلطة ، ويكون ناقصاً بيّن النقص إن كان سبيله الوحيد إلى الشعور بامتيازه أن يرى إنساناً يقصده فى حاجة ، ويرى إنساناً آخر يقف مكتوفاً بين يديه ، ويرى إنساناً ثالثاً يطيعه وإنساناً رابعاً يخشاه . فإن امتياز الفكر والروح يتحقق لصاحبه ولو لم ير بعينيه مظهراً من هذه المظاهر ، كما أن هذه المظاهر تسقط عن صاحبها متى زالت عنه السلطة وزال عنه الأمل فى العودة إليها ، فلا يقصده بالحاجة من كان يقصده بها ، ولا يقف مكتوفاً بين يديه من كان يقف بين يديه هذه الوقفة ، ولا يطيعه أو يخشاه من كان يريه الطاعة والخشية ، ولا يحس يومئذ شيئاً من الامتياز الذى أضافته السلطة إليه ثم زال عنه بزواله

أما صاحب الامتياز الحق فهو يشعر به ولو لم يشعر به غيره ، كصاحب الجسم القوى يأكل أكل ذوى المعدات القوية ويعدو عدو أصحاب السيقان القوية ، ويقاوم عوارض الجو كما يقاومها أصحاب البنية القوية ، ولو لم يعلم أحد أنه بهذه المنزلة من قوة البدن . بل إنه ليأكل ذلك الأكل ويعدو ذلك العدو ويقاوم تلك المقاومة ولو اعتقد أناس أنه ضعيف مهزول

وإن صاحب الامتياز الحق ليشعر بامتيازه ويزداد شعوراً به حين ينظر إلى الممتازين الذين يقوم امتيازهم على مظاهر الخشية والرجاء والركوع والانحناء ، فلا يحب أن يبادلهم ما هم فيه ، ولا يهون عليه أن يفقد من حريته ووقته ومتعة عقله ما يفقده هؤلاء للوصول إلى « السلطة » التى تناط بها تلك المظاهر

أيظن الأديب كاتب الرسالة أن الدينار الذهب يتضاءل بين يدى الورقة الزائفة ذات العشرة الدنانير ؟ أيظن أن رواج هذه الورقة التى لا تساوى نصف درهم يغض من قدر المعدن الأصيل الذى لا زيف فيه ؟ إن الطريق السهل لأحرى بالاتباع ، وأسهل الطريقين هنا هو احتقار الذين تروج بينهم الورقة الزائفة ويعون

عن الذهب الصحيح . فذلك أسهل من الإعجاب بالورقة الزائفة ، ومن مجاراة الغافلين فى غفلتهم والجاهلين فى جهالتهم ، ومن نسيان القيم الصحيحة ذهاباً مع قيم الطلاء الذى يتراءى على وجوه الأشياء ، ومن فقدان الوقت والأمانة والمتعة الفكرية والنفسية التى لا بد من فقدها فى كل سعى إلى لبانة من هذا القبيل

والسبب الثالث الذى يحفز الإنسان إلى طلب السلطة هو اتقاء شرور السلطة والأمان من سيطرة الغالبين ، فهو يتقلد سلاحهم ليدفعهم به لا لأنه يحب ذلك السلاح وينزع إلى الضرب به لغير اضطرار

والسبب الرابع الذى تطلب السلطة من أجله هو الانقلاب الاجتماعى الذى لا يتم بغير قوة مشروعة أو غير مشروعة ؛ فيطلبها صاحب المذهب الاجتماعى ليستخدم سلطان الحكومة فى إصلاح ما يحتاج عنده إلى الإصلاح

تلك هى الأسباب الأربعة التى تغرى المرء بطلب السلطة فيما أراه

فإذا شاء بعض القراء أن نمد الشرحة قليلاً لنضع عليها حالة نفسية محققة فى مواجهة كل سبب من هذه الأسباب فإليهم خلاصة هذه الحالة النفسية مع الإيجاز

فالرجل الذى يطلب السلطة لأنها وظيفة حيوية أو تركيب بدنى هو رجل محمود فى رأى كثير من الناس ، ولكنى أنا لا أحسده ولا أشعر بإكباره ، لأن قوته من قبيل القوى التى تحسب بعداد ، وتقاس بمقاييس العضل والأوصال ، وتخرج من نطاق الفكر والضمير

والرجل الذى يطلب السلطة ليشعر بامتيازه حين يخشاه من يخشى ويطيعه من يطيع ، هو كذلك رجل محمود فى رأى كثير من الناس ، ولكنى أنا أرثى له وأستصغر همومه ، وأرى أنه يشغل عقله ونفسه بالحواشى والظواهر التى تزول بزوال السلطة وتنتقل إلى غيره بانتقالها ، فليست هى من أصالة الخلق ولا من حقائق الطباعة والملكات

والرجل الذى يطلب السلطة ليتقى بها السلطة هو رجل معقول مفهوم ، ولكنى أراه مسرفاً فى طلبه إذا ترك ما خلق له وشغل حياته بالبحث عن سلاح قد يحتاج إليه وقد يستغنى عنه كل الاستغناء ، لأن طلب السلطة شغل شاغل لا يجتمع مع التفرغ للمتعة الفكرية والذوقية ، وسبيل الذى أوثره فى هذا الصدد أن أرسم لحياتى الخاصة وحياتى الروحية حقوقاً لا أقبل المساس بها أقل مساس ، فإن تركت لى تلك الحقوق فذاك ، وإن اعتدى عليها معتد فيومئذ أرجع إلى سلاحى فلا أدعه حتى أدع ذلك المعتدى نادماً على ما جناه

أما طلب السلطة للإصلاح فله موضعان : موضع الهدم فى المجتمع الذى لم يبق فيه ما يقيمه على أساس ؛ ولا اختيار فى هذا الموضع لأحد من الناس ، لأنه إنما يفرض نفسه فرضاً على المصلحين ، إما برسالة دينية أو بانقلاب يأتى فى أوانه ، وهو لا يأتى ولم يأت قط إلا فى أعقاب الحروب والهزائم الكبار

والموضع الثانى موضع الإصلاح الحكومى وهو عمل نافع لا شك فيه ، ولكنه يقتضى التفرغ له من البداية ، ولا يعالج فى فترة بعد فترة ، ولا مناوبة منتظمة بين الأدب والإدارة . وأكبر ما يأتى به المصلح فى هذا الباب ليس بأكبر من فكرة أدبية أو ثمرة فنية يتفرغ لها الأديب جهد ما يتاح له التفرغ فى بلادنا الشرقية ، فإن إصلاح سنة أو سنتين لن يكون فى نهايته غير إصلاح مرحلة قصيرة من مراحل الحياة البشرية فى أمة واحدة ، ولكن الثمرة الفنية حقيقة خالدة لذاتها ولو لم يكتب لها البقاء

وقد ذكر كاتب الرسالة اسم ديزرائيلى نموذجاً للأدباء والكتاب الذين يريدون أن يعملوا ما يقولون ؛ فهل لكاتب الرسالة أن يذكر لنا ما هى الفكرة الأدبية التى عملها ديزرائيلى فى أيام حكمه ؟ وهل له أن يذكر لنا مثلاً آخر من الأدباء والكتاب الذين يعملون أدبهم فى مناصب الحكومة ؟

فما طلب ديزرائيلى الحكم ليعمل فيه ما يفكر فيه الأديب أو الشاعر أو القاص أو الفنان ، ولكنه طلبه ليدفع به الهوان الذى كان يلقاه بين البيئات الأوربية ، وليكره من يزدرونه على أن يحسبوا حسابه ويرجعوا إليه . ولو ازدرانى أحد لرجعت إلى

لمحكم رجال الأدب العربي

السباعي بيومي

يسر جنايته على المبرد بجنايته على المرصفي

للدكتور زكي مبارك

— ٢ —

ما الذي يوجب أن تشعر يا سيد سباعي بمثل لسع العقرب كلما لوّحتُ لك باسم الشيخ المرصفي ؟

ما الموجب لهذا الفزع وقد مات المرصفي ومات ثم مات ؟

السبب أوضح من أن يحتاج إلى من ينبّه إليه القراء ، وهو عرفانك بأني سأقهرك على الاعتراف بأن كتابك « تهذيب الكامل » لن يظهر سليما من الأغلاط يوم تطبعه للمرة الثانية إلا وأنت مدينٌ أثقل الدَّين لكتاب « رغبة الآمل في شرح الكامل » وهو الكتاب الذي دعوتَ الناس إلى الصدوف عنه ليخفى عليهم فضل مؤلفه عليك

وشبح الشيخ المرصفي سيلاحقك في يقظتك ومنامك ، لأن كتابك لن يطبع بعد اليوم قبل أن تشهد كل صفحة من صفحاته بأنك استعنت بتحقيقات الشيخ المرصفي ، وقبل أن تعترف علانيةً بأنك خضعت لجبروت الحق ، بعد أن طال جدالك فيه

ولو كان الله منحك نعمة الذوق لقدرت قيمة التعصب لرجل ميت لا أنصار له ولا أشياع ، ولا ينتظر أن يكون للتعصب له بارقة من بوارق الثواب ، وقد عاش ما عاش وهو معدوم السناد من العصبيات ، فما استهانتك بالوفاء وهو معنى لا يقيم له الميزان غير أحرار الرجال

ثم ماذا ؟ ثم وجدتَ الفرصة للتخلص من تهمة السرقة من كتاب النثر الفني فيما يتصل بنشأة فن المقامات في الأدب العربي ، لأن كتاب النثر الفني ظهر في سنة ١٩٣٤ وأنت فيما تزعم أعلنت هذا الرأي في سنة ١٩٣٣

نفسي أسألها : لماذا يزدريني هذا الأحد ؟ فإن كان لسبب حق فالحكم لا يدفعه عني ، وإن كان لسبب من هذه الأسباب العارضة ، فأنا إذن أولى بأن أزدري ذلك الأحد ، وهو على خطأ وأنا على صواب

وقال كاتب الرسالة : « لقد جاهدت كثيراً في ميدان الصحافة والأدب ثم بلغت مرتبة نائب . فهل هذا منتهى جهدك ؟ يبدو لي أنك تبلورت في مركزك الأخير ! »

فالذي يقرأ هذا الكلام يخيل إليه أن كرسي النيابة نهاية طريق لي أو مرحلة على الأقل في تلك الطريق

على أن الحقيقة فيما أرى أن كرسي النيابة تعريجة في منعطف الطريق الذي أسير فيه ، وأعني به طريق الأدب والكتابة . وكل ما ألتزم به على هذا الكرسي أن أخدم الدائرة التي أنوب عنها ، وقد فعلت ؛ ولي أن أقول إن نائباً آخر لم يفعل لدائرته الانتخابية خيراً مما أفعل . وإلى جانب ذلك أؤدي عملي في النيابة على الوجه الذي أراه ، ولا أستبيح لنفسي أن أتخلف عن جلسات المجلس إلا لعذر قاهر سواء كان لي كلام في الجلسة أو لم يكن لي فيها كلام

تلك هي الصورة الصحيحة لمكان النيابة من حياتي العامة ، وسأعود من تلك التعريجة راضياً مغتبطاً في اليوم الذي تأذن لي فيه حالة الأدب بيننا نحن المشرقيين أن أفرغ للكتابة و «العمل» الأدبي الذي أرتضيه

وصفوة القول أني أعز الأدب هذا الإعزاز لأنه منحة لا يعطيها إنسان ، فلن أعلق حياتي ولا قيمتي بمنحة يعطيها أحد من الناس ولو كانت الشهرة الأدبية التي قد يخيل إلى قوم أنها بغية المتمني وغاية الغايات ، فإن جاءت الشهرة غير ممنونة ولا مبخوسة فقد سعت إلى وما سعيت إليها ، وإن أبت أن تجيء على ما أختار فلست أخطو إليها خطوة ... فكيف بالوظيفة والمنصب وما إلى هذه الأشياء ؟

عباس محمود العقاد

فهل تصدق فى سريرة نفسك أنك نجوت من صولة الحق ؟

وهل تظن أن الأسانيد المدونة فى مقالاتى ومؤلفاتى غير قديرة على إلقاء تهمة السرقة فوق منكبيك بصورة لا تبقى لك فرصة من فرص المكابرة والروغان ؟

إليك أسوق البراهين التى تقطع بأن الشيخ الإسكندرى نقل عنى ، والتى تجزم بأنك سرقت من كتابى

والحمد لله الذى أتاح هذه الفرصة ، ليعرف تلاميذك بدار العلوم أنك تقدم إليهم معارف أدبية لم تشق فى تحصيلها لحظة أو لحظتين ، وإنما نهبتها فى الخفاء ، ولم تكن تعلم لسوء حظك أن الحقوق ترد إلى أصحابها ، ولو بعد حين

أنت قلت فى كلمتك الثانية إنى التفت إلى نص زهر الآداب مصادفة حين قمت بتصحيحه فى سنة ١٩٢٥ ، وهذا حق ، فالمصادفة هى التى هدتنى إلى النص الذى يجعل بديع الزمان متأثراً بابن دريد فى إنشاء المقامات ، ولكن كيف رأيت لهذا النص قيمة تستحق التسجيل ؟ إنما كان ذلك لأن الدكتور « أحمد ضيف » كان حدثنا فى محاضراته بالجامعة المصرية أن فن بديع الزمان فى المقامات مستوحى من الآداب الفارسية ، ولولا ذلك لكان من الجائز أن يمر نص زهر الآداب بدون أن ألتفت إلى قيمته فى تاريخ الفنون الأدبية

وقد حدثت الدكتور أحمد ضيف عن هذا النص فأجاب بأنه لا يزال عند رأيه الأول ، ثم حدثت الدكتور طه حسين عن هذا النص فجادلنى فيه وانتهينا إلى رأى سجلته فيما بعد بالتفصيل

وفى سنة ١٩٢٧ شرعت فى تأليف كتاب النثر الفنى باللغة الفرنسية وأثبت فيه النص الذى اهتديت إلى قيمته فى زهر الآداب ، ومعنى ذلك أنى حررت هذه المسألة قبل أن يلتفت إليها الشيخ الإسكندرى فى سنة ١٩٣٠

ولكن كتاب النثر الفنى لم يظهر فى مكاتب باريس إلا فى سنة ١٩٣١ فكيف يصح القول بأن الشيخ الإسكندرى نقل عنى ؟

لم ينقل الشيخ الإسكندرى فى سنة ١٩٣٠ عن كتاب ظهر بالفرنسية فى سنة ١٩٣١ فذلك غير معقول ، وإنما نقل الشيخ الإسكندرى عن كتاب نشره زكى مبارك فى سنة ١٩٢٩ وهو الطبعة الثانية من زهر الآداب ، فى هامش الصفحة ٣٠٧ قال زكى مبارك فى التعليق على عبارة الحصرى ما نصه بالحرف :

« مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وأنه حاكى ابن دريد فى أحاديثه ، وقد استغللت هذا النص فى كتابى الذى وضعته بالفرنسية عن النثر الفنى فى القرن الرابع ، وقد دهش المسيو (مرسيه) لهذه الفكرة وعجب كيف اتفق الناس على أن البديع هو منشئ فن المقامات ، ولكنى من جانب آخر أذكر أنى لم أر مثل هذا الكلام فى غير زهر الآداب ، ولا أزال أتلمس له مصدراً آخر ، ولم أعثر على شىء إلى اليوم ، ويزيد فى الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروى المسألة على أنها مقبولة معروفة لم تمس بنقض ولا تكذيب ، وقد نقلها عنه ياقوت فى معجم الأدباء » .

ذلك ما جاء فى هامش الجزء الأول من كتاب زهر الآداب وقد ظهرت طبعته الثانية سنة ١٩٢٩ وكان الشيخ الإسكندرى يقتنى جميع الطبعات كما حدثنى غير مرة ، رحمه الله

ومع ذلك لم تقف المسألة عند كلام أحدث به أساتذة الأدب العربى ثم أثبته فى هامش كتاب يظهر فى سنة ١٩٢٩ فقد نشرت مقالاً رنانا فى مجلة المقتطف (عدد إبريل سنة ١٩٣٠) نشرته وأنا مزهو زهو الطاووس تحت عنوان : « إصلاح خطأ قديم مرت عليه قرون فى نشأة فن المقامات »

وكان من أثر ذلك المقال الرنان أن تثور بينى وبين المرحوم مصطفى صادق الرافعى معركة قلمية على صفحات المقتطف

فهل من المعقول أن تثور معركة قلمية بين زكى مبارك ومصطفى الرافعى ولا يصل صداها إلى الشيخ الإسكندرى « وكان من المشتركين فى المقتطف » وهى فى موضوع يتصل بدروسه فى دار العلوم ؟ !

من الكلام الذى نشرته فى سنة ١٩٢٩ بهامش الطبعة الثانية من زهر الآداب ، والمقال الذى نشرته فى المقتطف سنة

١٩٣٠ أخذ الشيخ الإسكندرى فكرة القول بأن بديع الزمان نقل فن المقامات عن ابن دريد ، وإلا فكيف سكت الشيخ الإسكندرى عن هذه المسألة فى كتابه : « تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى » الذى ظهر سنة ١٩١٣ وكتابه الموسوم بالوسيط الذى شاركه فى تأليفه الشيخ مصطفى عنانى وقد ظهر قبل سنة ١٩٢٥ ؟

لماذا أجّل الشيخ الإسكندرى هذه المسألة إلى المذكرات التى ظهرت فى سنة ١٩٣٠ وهى المذكرات التى حدثتنا أنها « طبعة أخيرة » ؟!

إنما اهتدى الشيخ الإسكندرى فى « الطبعة الأخيرة » بما قرأ لزكى مبارك فى هامش زهر الآداب سنة ١٩٢٩ وبما نشر زكى مبارك فى المقتطف سنة ١٩٣٠

ولك أن تغيّر هذه الوقائع ، إن استطعت ، ولن تستطيع

ثم أذكر أن الأستاذ أحمد الزين أرسل إلىّ خطاب ثناء بعد قراءة مقالى فى المقتطف ، وأحمد الزين كان يسمُر كل ليلة مع الشيخ محمد عبد المطلب ، فلو كان من الصحيح أن أبناء دار العلوم كانوا يعرفون جلية هذا الأمر منذ بداية القرن العشرين لكان من الواضح أن يفهم الأستاذ الزين أن مقالى فى المقتطف لم يأت بجديد حتى يستوجب خطاب ثناء

وأنا أتحداك أن تثبت أن شخصاً واحداً من أبناء دار العلوم تحدث عن هذه المسألة فى كتاب مطبوع أو مخطوط قبل أن أتحدث عنها فى هامش زهر الآداب سنة ١٩٢٩

انتهت قصة الشيخ الإسكندرى ، فما قصتك أنت ؟

لا تقل إنك قرأت مذكرات الشيخ الإسكندرى فى طبعتها الأخيرة سنة ١٩٣٠ ، ولكن قل إنك كنت ناظراً لإحدى مدارس المعلمين الأولية ، وهى مدرسة يدخلها فى كل شهر ثلاث نسخ من أعداد المقتطف ، فهل يكون من الممكن أن تثور معركة قلمية بين زكى مبارك ومصطفى الرافعى على صفحات تلك المجلة ولا يلفتك إليها أحد من الأساتذة أو الطلاب ؟

اسمع أيها الأستاذ المفضال :

أنت لم تقدم نصاً يشهد بأنك سجلت كلمتك فى عبارة زهر الآداب قبل ظهور الطبعة العربية من كتاب النثر الفنى سنة ١٩٣٤ فلم يبق إلا النص المسجّل عليك فى مجلة السراج سنة ١٩٣٧ وهو قاطع بأنك سرقت من كتاب النثر الفنى وإليك القرائن :

أولاً — من المفهوم عند جميع الباحثين أن الباحث يشير إلى الطبعة الأخيرة من الكتاب الذى ينقل فقرة من فقراته ، فكيف تشير أنت إلى طبعة زهر الآداب القاعة على هامش العقد الفريد وقد انقرضت من الأسواق ، ولا تشير إلى طبعة زكى مبارك التى ظهرت فى سنة ١٩٢٩ ؟ أليس ذلك شاهداً على أنك تخشى أن يفطن القراء إلى أنك انتهبت عبارة زكى مبارك ؟

ثانياً — أنا لم أعيّن النظرية التى انتهبتها من كتاب النثر الفنى حين هددتك بكشفها أمام قراء الرسالة ، فكيف عرفت أن هذه النظرية هى المقصودة بالذات ؟ ومن أدراك أيها الأستاذ ، أنها سكين ؟!

ثالثاً — أشقيت نفسك فى التهوين من هذه النظرية ، فما الموجب لذلك التهوين لو كانت من مبتكراتك أو مبتكرات أحد أساتذتك بدار العلوم ؟

إنك تهوّن من شأن هذه النظرية لأنها من مبتكرات زكى مبارك ، فهى عندك شىء عديم القيمة لا يستوجب أن يُزهى به الرجل زهو الطاووس !!

هذه القرائن هى حجتى عليك ، وهى البرهان القاطع على صحة العبارة التى تقول :

« يكاد المريب يقول خذونى »

ما الموجب لأن تقول إن كشف هذه النظرية لا يساوى كشف مقبرة توت عنخ آمون ؟

إنما كان مَثَلُك مَثَل اللص الذى يهوّن شأن ما سَرَق لينجو من العقاب وأنت تدرك الخطر الملفوف فى هذا الملحظ الدقيق !!

وهناك نظرية أخرى متصلة بالمقامات ، وهى نظرية فاتنى النص عليها فى النسخة الفرنسية التى ظهرت سنة ١٩٣١ ولم تفتنى

فى النسخة العربية التى ظهرت سنة ١٩٣٤ فهل ترى لها «خبراً» فى «الطبعة الأخيرة» من مذكرات الشيخ الإسكندرى ؟ وهل تراك حدثت بها قراء مجلة السراج فى سنة ١٩٣٧ ؟

وهنالك نظرية ثالثة متصلة بالمقامات وفيها ردٌّ على المرحوم الشيخ محمد عبده وهى مثبتة فى كتاب «ليلى المريضة فى العراق» فهل تعرف هذه النظرية ؟

وهنالك تحقيق متصل بالمقامات، وهو موضوع مقال حدثت به صاحب «الرسالة» منذ أكثر من عامين ولم أقدمه لمجلة الرسالة إلى اليوم، لأنه يفرض الرجوع إلى عادات بعضها فى النجف، وبعضها فى بغداد، فهل تعرف موضوع ذلك التحقيق ؟ وهل تعرف ما بقى مطوياً من أسرار المقامات ؟

أترك هذا الجدال لأوجه الكلام إلى الدكتور عبد الوهاب عزام وكان ألقى محاضرتين عن بديع الزمان فى سنة ١٩٣٤ فقد حدثنى أمام جماعة من أساتذة الجامعة المصرية أنه اعتمد على كتاب النثر الفنى فى النظرية التى تقول بأن بديع الزمان نقل فن المقامات عن ابن دريد، فكيف غاب عن الدكتور عزام أن أبناء دار العلوم نشروا هذه النظرية قبل عشرات السنين ؟

أما بعد فقد ظهر أن الأستاذ السباعى بيومى سَرَق من كتاب النثر الفنى ما سرق، وتبيّن للجمهور أنه يقدم لتلاميذه زاداً نهبه من كتابى بدون استئذان، ولست من الملائكة حتى أسكت عمن يسرق منى أكثر من أربع سنين

والأستاذ السباعى يبالغ فى شتمى عامداً متعمداً ليقهر أصدقاءنا على وقف هذه الخصومة الأدبية، عساه ينجو من بطش قلمى

وأقول إنى لم أكن أعرف أن اللغة العربية غنيّة بألفاظ الهجاء قبل أن أقرأ كلمته الثانية، وأنا من الذين يدينون بوجوب طلب العلم من المهد إلى اللحد، فمن واجبى أن أرحب بمن يعلمنى طرائق السباب، ومن أجل هذا أرفض كل الرفض أن ينتهى ما بينى وبينه بالصلح، ولو صدر عن الرجل الكريم الذى أسرّ فى أذنى عبارات ونحن بوزارة المعارف

لقد شتمنى هذا الرجل ليصرفنى عن تسجيل ما سَرَق منى، فهل نجا من تطويقه بتلك السرقة البلقاء ؟

لو كان يعقل لعرف أن السرقة من كتاب النثر الفنى لا تنقص من أقدار الرجال، لأن كتاب النثر الفنى كالشمس يعيش فى ضيائها أرباب الوفاء، كما يعيش أصحاب العقوق

السباعى يهدد ويهدد بنقد مؤلفاتى، وهو من فضلها يعيش، فهل رأيتم أقبح وأشنع من هذا الكفران ؟

والسباعى يكاثرنى بأبناء دار العلوم، فأين كان يوم دفعت عنها طغيان كلية الآداب وأنا مدرّس بكلية الآداب ؟

وكيف يُنكَر جميلى فى حماية تلك الدار من البنى والعدوان ؟

وفى الأسبوع المقبل يسمع الأستاذ السباعى كلاماً لم يخطر له فى بال !

زكى مبارك

ظهر حديثاً كتاب:

الحرب الحديثة

وما تُلقيه على مصر والشرق العربى من دروس

تأليف الأستاذ

رياض محمود مفتاح

المحامى

وهو دعوة لمصر والشرق العربى إلى النهوض على ضوء الحوادث العالمية الأخيرة.

يطلب من ادارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

خصومة أدبية رضيت فيها الأدباء حكماً

زكي مبارك

يكتب كثيراً ولا يقول شيئاً

للأستاذ السباعي بيومي

— ٣ —

ما كنت أحب لك يا دكتور أن تكتب شيئاً مما سودت به مقال العدد ٣٩٨ ، ومعظم مقال العدد ٣٩٩ — بل كله كما ستعلم — لأنه ليس من الخصومة ولا الخصومة منه وليس بذي فائدة للقارئين. وما كنت أحب أن أجول معك في هذا الخروج لضيق الصفحات الأربع — المحدودة في الرسالة — عن أن تتسع له ولما أوعدت به من الهجوم عليك في زهر الآداب، لولا ما تعتقده من أنه في صميم الخصومة، وما أخشاه من أن تزين لك نفسك أنك به قد انتصرت

ولقد كان واجباً عليك وخيراً لك أن تنتظر كلمتي السابقتين ثم تكتب في الموضوع ، ولكنك تعجلت ولم تستطع مني صبراً . والآن فالق جزاء تسرعك في الرد على ما ذكرت بمقاليك مما لم تتناوله كلماتي ، مشفوعاً بطلبي منك ألا تعود إلى هذا الخروج ، حتى نفرغ للخصومة الأدبية بالمعنى الذي تحمل ويريده الجمهور

تدعي أن صديقاً عزيزاً قال لك : « لم يرضني تحديك للأستاذ السباعي فقد كان يتفق في أحيان كثيرة أن يجعل مقالاتك من موضوعات الدروس بدار العلوم وذلك من شواهد الإعجاب » . وأنك حفظت لي هذا الفضل وآثرت الصمت لولا أن أديباً أثارك بما كتب إليك . ويظهر يا دكتور أن هذا الصديق من الخبثاء الظرفاء الذين عرفوا فيك ما قرره ابن المقفع من أن عجب المرء بنفسه أرحب باب يدخل عليه منه الضاحك عليه والمضلل له . فهو قد أضلك وضحك عليك بما تخيل فتحققت ، وما كان لشيء من مقالاتك أن يكون من موضوعات الدروس في دار العلوم ، ولو حدث لما سميت دار العلوم

وتدعي أنك مع هذا كنت على نية السكوت لصداقتي ولأن هجومي لن يقلقل مركز الشيخ المرصفي ، ثم لأني من زملاء الأستاذين هاشم وصفوت ولهما عليك حقوق ؛ فأما الصداقة فما ينبغي أن تحول دون محاورة الصديقين فيما يفيدهما ويفيد الناس ، وأما أن هجومي لن يقلقل من مركز الشيخ المرصفي فما قريب ستعلم أثره

وتذكر أنك في سبيل دفع الشر عن الشيخ المرصفي ستقدم لي خدمة أدبية بجذبي إلى الجدل على صفحات الرسالة ، وأنا مرحب بدفع هذا الشر عن الشيخ ، ولكن فيما صوبت أنا إليه ؛ ثم إني لشاكر لك جذبي إلى التحرير وغير طامع في رفق أسلوبك ، بل راغب ملح في أن تريني ما تزعمه لقلمك من أنه تطير عن أسلاته شظايا الشدة والعنف، حتى أعلمك — إن لم تكن علمت — أن مثل قلمك أمامي مثل بنادق الأطفال تسمع لطلقاتها دوياً ولا ترى لها كلماً . أما القلم الذي ستواجه مني فهو مسدس ذو طلقات تميت في غير جلبة ولا ضوضاء ، وهأنت ذا قدحت زنده فاصل شرره

وتقول إن المرصفي قضى شبابه في خدمة الكامل ، وأنني قضيت شبابي في خدمته كذلك ، وإني لأكاد أكذبك في الأولى لأنك غير صادق في الثانية قطعاً . فما قضيت في تهذيب الكامل إلا ثلاث سنوات لا تستغرق شباباً ولا بعض شباب ، ثم تتظرف وتحكم بأن الفرق بين الرغبة والتهذيب كالفرق بين المرصفي والسباعي . وإنه لحكم أعاد إلى ذاكرتي هذا البيت :

كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوسٌ حولهم ماء

ثم تكذّب ما قاله الطالب أيوب من أن كتاب المرصفي ظهر سنة ١٩٣٠ وتقول إنه ظهر سنة ١٩٢٧ ، فتكون سطحياً امام طالب ، لأنك أخذت تاريخك من غلاف أول جزء في الكتاب والطالب أخذه من غلاف آخر جزء منه ، فارجع إلى هذا الجزء رجوع المتأمل الذي دل على أنه لم ير الكتاب ، تجد عليه سنة ١٩٣٠ وهو التاريخ الحق الذي لا يعتبر في مجال الاحتجاج سواه . على أنك شعرت بتفاهة ما لحظت لأن كتابي ظهر سنة ١٩٢٣ فقلت : « وليس لهذا التاريخ أهمية » ولكنك عدت فوقعت إذ زعمت أن شرح المرصفي يرجع إلى أكثر من أربعين سنة ، وأنه كان كاملاً من جميع الجوانب حتى الفهارس قبل سنة ١٩١٥ وأنك رأيته بعيني رأسك ورآه معك الشيخ الزنكلوني. وما رأيك يا دكتور أن المرصفي نفسه يكذبك في ذلك بعبارته المدونة في آخر جزء من أجزاء الرغبة عن إتمامه الشرح فما بالك بالفهارس ، وهي بنصها : « وقد انتهى شرح كتاب الكامل

والحمد لله ليلة ١١ رجب سنة ١٣٤٠ من الهجرة » وهذه توافق سنة ١٩٢٣ ، أي أن الشرح وحده دون الفهارس لم ينته إلا سنة ١٩٢٣ لا قبل سنة ١٩١٥ . أليست هذه العبارة تفهم بصريح العبارة أنك كذبت على عيني رأسك ، وإذا كان لنا أن نتركك حراً تكذب على نفسك ، أفلا نؤاخذك أن تكذب على غيرك . ولكنك يا دكتور كنت لبقاً إذ تخيرت هذا الغير ممن انتقلوا إلى جوار ربهم ، وأنا جد واثق أن الشيخ الزنكلوني لو امتد به الأجل إلى حيث كتبت ما كتبت لأشهدت غيره من الأموات ساحك الله

ثم لك في هذه النقطة حشوة لا علاقة لها بالتواريخ، ولا هي من العبارات الشعرية كما تقول : تلك هي قولتك « ولن أنسى ما حييت تلك العبارة الشعرية التي صرخ بها الشيخ المرصفي وهو يقدم إلينا شرحه على كتاب المبرد — لن أنساها أبداً — فقد قال شيخنا العظيم وهو يخاطب المبرد (الله على أيامك يا بطل) » وبعد ذلك تقول : « والكتاب الذي كمل من جميع نواحيه حتى الفهارس قبل سنة ١٩١٥ هو الكتاب الذي سرقت بعض فهارسه من كتاب ظهر في أواخر سنة ٩٢٣ » والآن فلتسمح لي يا دكتور أن أتركك وأخاطب الناس . أيها الناس يعجب الدكتور من أن الطالب أيوب لا يستبعد على المرصفي أن يكون قد استعان في كتابه الذي ظهر سنة ١٩٣٠ بكتابي الذي ظهر سنة ١٩٢٣ زاعماً أن كتاب المرصفي كان كاملاً من جميع نواحيه حتى الفهارس قبل سنة ١٩١٥ بالرغم من تكذيب المرصفي له كما سبق ومؤيداً هذا الزعم بآخر حاط من قدر المرصفي إن كان حقاً ، هو أن المرصفي لم يكن يطلع على شيء من مؤلفات المعاصرين فكيف اختص الأستاذ السباعي بتلك العناية . هذا ما يقوله الدكتور أيها الناس، وليس لي من تعليق عليه إلا الجملة التي ختم بها ما قال وهي « تلك والله إحدى الأعاجيب »

ويقول الدكتور عني بعد جعله المرصفي أوحد عصره بلا جدال « إنني الرابع أو الخامس بين أساتذة دار العلوم مع التسامح الشديد » ونحن أساتذة اللغة العربية بهذا العدد تقريباً في الدار فكأنه جعلني الأخير . والحقيقة يا دكتور أنك في تدخلك هذا غريب ؛ فما أنت فيها والفاضل والمفضول والأول والأخير أولئك إخوان فضلهم فضلي ومكانهم مكاني وكانا أعرف بحق صاحبه منه بحق نفسه .

وتقول إن الشيخ المرصفي أثر في عصره وتعدد له ذخائر كثيرة ، وليس لي رد على الشيء تعرفه أنت ويجهله غيرك . إني لا أعرف المرصفي إلا ما عرف الناس ولا أدعي لنفسي من آثاره إلا ما لمسوه . فسلهم لتعلم منهم أن عمري لم يكن موقوفاً على التهذيب ، ثم سل تلاميذي الذين تتحدث عنهم يخبروك بما يفحمك مخلصين صادقين وفخورين بتلمذتهم لي فخري بأستاذيتي لهم في غير زهو ولا إعجاب

ذاك ما جعلته طلائع غزوة وبه تباهى . فهل لا زلت على هذه المباهاة بعد تفسيق لما ذكرت وردي على ما سودت ومع هذا فاليك رأيي في تلك المباهاة نفسها

تقول إنك لن تصفح عني أو أشتغل محرراً متطوعاً بالرسالة ثلاث سنين ، وما هذا لي بالتهديد فما أنا ممن يضيرهم التحرير ولا ممن تعودوا أخذ أجر على ما يكتبون، لأني أكتب للكتابة لا طمعاً في مال، ولذلك يصدر ما أكتب في غير كلفة ولا إكراه.

وتقول إن خصومتك لي محنة صبت علي من شاهق وتطلب مني أن أتحملها صابراً ، وإنها لا تنتهي قبل بداية مايو ، وليس مثلك مني في هذا التهديد إلا مثل القبرة التي وقعت على رأس فيل ؛ فلما أرادت أن تطير قالت له إني مخففة عنك وطائرة فقال والله ما علمت بك نازلة حتى أشعر بتخفيفك طائرة . أما الموعد الذي ضربته فهو أمنية تتمناها وتشفق ألا تكون ، ولست أدري أأوافقك عليها مطمئناً أم أتجاوزها إلى ما بعدها مزعجاً، لن أبين لك حتى أتركك حينا تتعزى بالأجل إشفاقاً عليك وآخر تجزع لطول الأمد تهديداً لك. وسأعلمك في حاضري ومستقبلي أن ماضي لم يكن قائماً على خدمة الكامل وحده وأن تهذيبي له لم يكن عملاً يقوم به أحد النساخين بدراهم معدودات وذلك بما أتفك عليه من أنه كان خدمة يعرفها العارفون

وتزعم أنك قضيت دهرك ممتحناً بعداوات الرجال . ورجائي أن تكون رجلاً فيما أصبت به من عدائي وأن تغالي في عدم العطف علي، ذلك الذي أزمعت تركه لأني ثوبت لك ثوب العقوق، والحقيقة يا دكتور أنه لا عطف منك علي ولا عقوق مني إليك وإنما هو

نقاش وحساب يتطلب منك أن تكون الجلد الصبور .

ثم تقول إنك حكمت على بترك دروسي في دار العلوم لأشغل نفسي بمخاطرتك . ويلوح لي يا دكتور أنك ما قلت ذلك إلا لعقيدتك أن مخاطرتي لك تشغلني كما تشغلك مخاطرتك لي، ولكن عقيدتك هذه وهم باطل وظن خاطئ، فإن هجوي عليك وصدك لا يشغل مني كل أسبوع إلا الوقت يجري فيه القلم غير متوقف إلى حيث ينتهي المقال وهو وقت يسير في زمن اليوم لا الأسبوع، ثم هو لديذ الوقع ترتاح لصريره النفوس .

وبعد فهأنذا مرتقل نحو مقالك الأخير فماذا أرى ؟ رأيتك قد سودت أكثر من نصفه بأشياء خرجت فيها عن الجادة وجمعت بينها على الإكراه والقسوة ، فبينا تبدؤه بالرد على كلمتي الثانية قبل ظهورها بهذه الجملة التي لا تقدم ولا تؤخر في الموضوع فتقول عني في تبرئة نفسك من السرقة التي ألبستك طوقها : « فكان حاله حال اللص الذي رأى صاحب الدار يمشي من بعد فصاح : مين اللي ماشي هناك » ، ثم تعقب هذه بقولك : « إني أشعر بالارتياح كلما تذكرت أن عندي ذخائر يتطلع إليها الناهبون من الفضلاء » سبحان المنان الوهاب ! وعلى هذا الفرار من قرع طبلك تقول عني « فليواجهني إن استطاع وأنا ماض إليه بقلم أمضى من السيف وأعنف من القضاء » ، وستعرف أينا الذي لن يستطيع ، وأينا الذي سيكون قلمه أمضى من السيف . أما أن قلمك أعنف من القضاء فعاذ الله أن أشاركك هنا الكفران وقد علمت عن ابن دريد الذي تحدثت عنه في نظريتك المزعومة ، أن تلميذه أبا علي القالي قال : « لما أصيب بالفالج كنت أدخل عليه فيتألم من دخولي فأقول : إن الله تعالى لم يبتله بذلك إلا عقاباً على قوله يخاطب الدهر وليس الدهر إلا الله :

مارست من لو هوت الأفلاك من
جوانب الجـــو عليه ما شكا

إذا بك تنتقل إلى أن كامل المبرد على ما به من فضل قد حرف وصحف وصار في حاجة إلى إصلاح، وإني لن أكون المصلح المنشود لأني لم أوهب نعمة الذوق الأدبي التي لا يظفر بها من كل جيل إلا آحاد ، وأنت طبعاً من هؤلاء الآحاد إن لم تكن أوحدهم . ثم تقول كان المصلح المنشود له شيخنا العظيم سيد بن علي المرصفي وهو طبعاً من الآحاد الذين رزقوا نعمة الذوق الأدبي والآن أقدم للجمهور شيئاً من أشياء أعرفها للشيخ المرصفي برهاناً واضحاً على أن الذوق الأدبي كثيراً ما خانه في أبسط مظاهره ، ذلك الشيء هو أبيات جاء بها المبرد في الهجاء الموجع فجعلها المرصفي في شرحه من المدح البالغ . ولو كان المبرد يعلم أن ذوقه إلى هذا الحد لأنقذه وصرح بأنها هجاء . وها هي الأبيات وتحتها شرح الشيخ من غير تعليق (صفحه ١٣٢ ج ٤)

قال أبو العباس المبرد : ومما يستحسن من شعر إسحق هذا — يريد ابن خلف — قوله في الحسن بن سهل :

باب الأمير عراه ما به أحد ... إلا امرؤ واضع كفا على ذقن
قالت وقد أملت ما كنت آمله ... هذا الأمير ابن سهل حاتم اليمن
كفيتك الناس لا تلقى أخا طلب ... بفيء دارك يستعدي على الزمن
إن الرجاء الذي قد كنت آمله ... وضعته ورجاء الناس في كفن
في الله منـــه وجدوى كفه خلف
ليس السدى والندى في راحة الحسن

وإلى القارئين كل ما قال الشيخ المرصفي في شرحها بنصه وصورته ، قال — وقاه الله شر تلميذه الدكتور زكي مبارك — : « في الحسن بن سهل » بن عبدالله السرخسي وزير المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل (باب الأمير) كأنه يريد أميراً غير الحسن (لا تلق أخا طلب الخ ...) . تريد إن استجديته أغناك ، فلا تجد غريماً يطلبك (ليس السدى) يريد إلا رجاء السدى ، وهو ندى الليل ، (والندى) : ندى النهار ضربهما مثلاً لجوده ، وقد أخر هذا الاستثناء عن موضعه فتثقل ... انتهى شرح الشيخ ، فما رأيك فيه يا دكتور ، إن كنت ممن وهبوا نعمة الذوق الأدبي ؟ وهل لا تزال مصراً على أن المرصفي قضى حياته يراوح المبرد وينادبه بالنظر الثاقب والفهم العميق ؟ أما أني أتقول على المرصفي لأنه مات وشبع من الموت وهذا لا ينبغي ، فهي دعوى لو عمل بها في الأدب ، لمات الأدب وشبع من الموت كما تقول ؟

وإذا بك تقحم الدكتور طه حسين في الموضوع بأنه أتعب نفسه في النيل من دار العلوم ، ولم أغضب ، مع أني أستاذ بها ، وهذا غير ما كان يا دكتور ، فقد كتبت في الصحف والمجلات ، ولكنك لم تقرأ، كما لم تعرف ما نحيته وما زلت مستعداً لتضحيته في سبيل الدفاع عن دار العلوم ؛ ثم توغل في الإفحام فتدعي أن علة سكوتي هي أن الدكتور طه يضر وينفع ، وبملك المحو والإثبات في أعضاء بعض اللجان ، وردي على هذه الأكذوبة عني وعن الدكتور أني لم أسكت ، ومع هذا كنت عضواً في اللجان ،

وما ذنبي إذا كنت أدمى وتترك ، وأعرف وتنكر ؟

فإذا بك تغادر الدكتور طه إلى الأزهريين ، تحط من قدرهم إذ لم ينصروك ، وتسلبهم - كاذباً في الاثنتين - أبسط ما يعرف العلماء من أقدار الرجال فتقول : « لم يوجد في الأزهريين من يدرك قيمة الشيخ المرصفي غير الشيخ محمد عبده ، وبموت الأستاذ الإمام أصبح المرصفي من النزباء » ؛ ثم تعود إليّ تتهمني بأني أريد الإعلان عن نفسي بالقدح في المرصفي ، وتطالبني بدفع ثمن هذا الإعلان بلا إمهال ، وما كان هذا القدح ولا ذاك الإعلان لي بمراد ؛ أما الثمن ، فأنا على نقده لك عاجلاً - كما تقول - ولكن فيما يبصر الناس بقدرك

ثم تشرد يا دكتور فتقول : « أنا أعرف أن دار العلوم مدرسة عالية ، لا يزورها أحد من المفتشين إلا إن ظمئ إلى فنجان من القهوة يحتسيه في مكتب العميد أو مكتب الوكيل » ؛ وتخرج منه إلى أن محاسبتي لذلك من التسرع ، والحق أني لست فاهماً ما تعني بهذا الشرود . أتريد أن يغير نظام التعليم ، فيدخل التفتيش إلى التعليم العالي قلباً لأبسط مبادئ التعليم ؟ أم تأمل إذا انقلبت الأوضاع أن تكون المفتش لدار العلوم ؟ وإذا كورت الشمس وكان ما تريد ، فهل تحملك رجلاك لتقوم بهذا الحساب ؟ أظنك على علم في كل هذه الأسئلة بالجواب ، كما أنك على جهل بأن الدرس الذي أعطيه في الجامعة الأمريكية ، إنما هو في قسم من أقسامها العالية — ولولا ذلك لم أعطه — هو قسم الصحافة والأدب ، وشأنه في ذلك شأن دار العلوم وسائر المعاهد العالية التي يشرف على الدراسة فيها : ضمير الأساتذة ورقابة الطلاب ، وهما أدق تفتيش

وأخيراً تكثر من هذه الجملة « لا تشتمني يا سيد سباعي » معقباً إياها بتعاليل هي الأباطيل . فالشاتم أنت وأنا عن الشتم بعيد ، وإذا كنت تلحن لي في ذلك بأنك «شتيم» ، فأنا ألحن لك «بأني بشر ابن عوانة» . وهاك تعليلاً منها ليس من الشتم ، ولكن الشتم منه هو قولك لي : « فما أملك محاسبتك لو أردت الانتصاف لنفسي ، وما ذا أقول في تجريحك ولست بشاعر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب » ؛ وأنا أقول إن لك في هذا أن تجاب : فأما الشعر ، فلو رضيت لنفسي ما قلته كما رضيت أنت ما قلت ، لسويته ديواناً كما سويت ، ولوقعت في الشرك كما وقعت ، فقد اغتررت في طبع ديوانك بضحك من غرّروا بك ، وخالفت قول من نصحوا لك ، وما ديوانك بشعر شاعر ، ولكنه تجميع ناظم

وأما الكتابة ، فها نحن في ميدانها على صفحات « الرسالة » تجول ، وسيصدر الجمهور - إن لم يكن أصدر - حكمه فيها عما قريب

وأما التأليف ، فقد عرفت من عملي فيه تهذيب الكامل ، وستعرف غيره من مؤلفاتي متى انتهيت منه ، ونقاشنا فيه الآن ، فائت ولا تفر من الميدان

أما الخطابة ، فرأيي لك فيها يا دكتور أن تتلاقى في حلبتها أمام جمع من الأدباء وجمهرة من السامعين ويقترح على كلينا التكلم بداهة وارتجالاً في موضوع عام من أدب أو اجتماع ، فهنالك وهنالك فقط - ولست مزكياً نفسي ولكني مدافع عنها - تجد بحراً يغمرك ، وأمواجاً تقطعك وتهرك ، فتندم طالباً النجاة ولات حين مناص

إلى هنا أقف ، وقد طال الكلام ، مرجئاً الرد على ما وازنت فيه بين « الرغبة والتهذيب » وكل ما يتعلق بهما في المقال ، وذلك لأن دفعه - كما ستعرف - لا بد أن يسبق بكلمة مني عن الكتابين ، تريك سوء ما زينت ، وهنيئاً لك الآن نفاد الصفحات دون بقية الرد والهجوم .

السباعي بيومي

مجالس السلطان الغوري

صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري

كتاب يتضمن كثيراً من الأحاديث والمجادلات التي دارت في مجالس السلطان الغوري ، وكانت هذه المجالس تجمع كبراء مصر وعلماءها يتحادثون في أمور شتى علمية وغير علمية ، ويتفاوتون الحديث بين الجد والفكاهة . وقد لخص هذه الأحاديث من لسنين كتبا للسلطان وكتب مقدمة وافية في سيرة الغوري ومكانته في العلم والأدب :

الدكتور عبد الوهاب عزام

طبع الكتاب في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في أكثر من ٣٠٠ صفحة فيها صور وثمنه ١٢ قرشا

٢ ـ في العقد

لأستاذ جليل

٥ — (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) ولحاتم بن عبد الله :

أماوىّ قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتنا من طلابكم العُذرُ
أماوىّ إنى لا أقول لسائل ... إذا جاء يوماً حل فى مالنا النَّزرُ

وجاء فى الشرح : العذر (بضمتين وسكن الشعر) : جمع عذار وهو ما سال على خد الفرس من اللجام . و« عذرتنا . الخ » أى منعتنا الموانع . وأصله من عذرت الفرس بالعذار ، أى شددته به . فالكلام هنا على سبيل الاستعارة

قلت : الشطر الثانى فى البيت الأول هو هذا : (وقد عذرتنى فى طلابكم العذر) وفى الصحاح (عذر) . والشطر الثانى فى البيت الثانى هو هنا : (إذا جاء يوماً حل فى مالنا نذر)

وعذُر جمع عذير[1] — وقد جاء فى الشعر مخففاً — والعذير الحال التى يحاولها المرء يعذر عليها ، والبيت من شواهد الصحاح واللسان والتاج . والنذر معروف ، نذرت أنذِر وأنذُر نذراً إذا أوجبت على نفسك شيئاً تبرعاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك ، كما فى النهاية

٦ — (ص ٢٢) لما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد إلى خراسان . قال له : أوصيك بثلاثة : حاجبك . . . وصاحب شرطتك ... وعمال القَدْر . قال : وما عمال القدر ؟ قال : أن تختار من كل كورة رجلاً لعملك ، فإن أصابوا فهو الذى أردت ، وإن أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب

وجاء فى الشرح : يريد (بعمال القدر) ذوى الشرف والحسب . والذى فى ١ : (القدر) ، والذى فى سائر الأصول : (القرى) ، ولا يخفى ما فى كلتا الروايتين من التحريف ، وما أثبتناه عن محاضرات الأدباء (ج ١ ص ١٠٢) فى خبر روى عن عمر بن عبد العزيز ...

قلت : ذوو الشرف والحسب لا يُعذُر الإمام أو الوالى إذا وُسد إليهم الأعمال فاخطئوا أو أساؤا ، ورب وَحد[2] خير من ألف حسيب نسيب ، وقد نقلت فى أحد دفاترى من كتاب لا أتذكره اليوم هذا الخبر : « استشار عمر بن عبد العزيز فى قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل العذر ، قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم ، وإن قصروا قال الناس : قد اجتهد عمر » . وهو يشبه ما رواه محققو (العقد) عن (محاضرات الأدباء) فى الشرح . فأهل العذر هم فضلاء كبار كرام بأنفسهم[1] قد اطمأن إليهم الجمهور ، وقد يكونون من المحسوبين من الحسباء والمنسوبين[2] وقد لا يكونون[3] ، فإذا ولیت طائفة منهم فأخطأت عذر الناس — من عملها أو ولاها

وينصر ما ذهبت إليه قولى فى (مشاورة الهدى لأهل بيته) ص ٢٤٨ : « ... واجعل عمال العذر[4] وولاة الحجج مقدمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك أن تأمر قاضى كل بلد وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رجلاً توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فإن أحسن حُمدت ، وإن أساء عُذرت ، هؤلاء عمال العذر[5] وولاة الحجج »

والحجج تثبت العذر . . .

٧ — (ص ١٧٦) فرّ أبو خراش الهذلى من قائد وأصحابه ورصدوه بعرفات فقال :

وقونى وقالوا يا خويلد لا تُرَع ... فقلت وأنكرت الوجوه هُمُ هُمُ

قلت : رقونى . والبيت من شواهد الصحاح والأساس واللسان والتاج . قالوا : فزع فلان فرقوته إذا أزلت فزعه وسكنته[6] ، اعتبر بمشاهدة الوجوه ، وجعلها دليلاً على ما فى النفوس

٨ — (ص ٢٥٢) قال عبد الله بن الزبير لمعاوية — ويقال بل معاوية قالها لعبد الله — : مالى أراك تطرق إطراق الأفعوان فى أصول الشجر

قلت : فى الحديث : إنما هو (فى أصول السخبر) وهو

---

(١) مثل سرير وسرر (الصحاح)

(٢) رجل وحد : لا يعرف له أصل (المخصص)

(١) رجل كريم بنفسه قال الأزهرى : أراد أن الحسب يحصل الرجل بكرم أخلاقه وإن لم يكن له نسب (التاج)

(٢) فى حديث : « كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » هذا هو القول الحق

دعنى من المرء وأعراقه ... وماله الجم وأوراقه
فالمتقى كل الفتى غير من ... يستعبد الناس بأخلاقه

(٣) تراجم الرسالة ٣٤ ص ٥١

(٤) و (٥) فى طبعة العقد : القدر ، والعذر — كما فى التاج — هو الحجة التى يعتذر بها

(٦) فى خزانة البغدادى : قال المفضل بن سلمة فى الفاخر والمرزوقى فى شرح الفصيح : رقوت الرجل إذا سكنته وأنشد هذا البيت . . .

شجر تألفه الحيات فتسكن فى أصوله ، الواحدة سخبرة

٩ — (ص ٢) ... فعند ذلك يعلم أنها شجرة باسقة الفرع ، طيبة المنبت ، ذكية التربة ، يانعة الثمرة ...

قلت : زكية التربة

فى الأساس : زرع زاك ومال زاك : نام بيّن الزكاء ، وقد زكا الزرع وزكت الأرض وأزكت ، ومن المجاز : رجل زكى : زائد الخير والفضل

وفى اللسان : أرض زكية : طيبة سمينة

١٠ — (ص ١٤٩) ... فسلك به سبيل مَهلكة مُعطشة

قلت : مَعطشة

فى التاج : المعاطش : الأراضى التى لا ماء فيها ، الواحدة مَعْطَشة . المهلكة (ويثلث) : الفازة لأنها تهلك الأرواح فيها

١١ — ... وفرسى هذا حُبِس فى سبيل الله

قلت : حبيس

فى الجمهرة : حبست الشىء أحبسه حبساً إذا منعته عن الحركة ، وأحبست الدابة إحباساً ، إذا جعلته حبيساً فهو محبس وحبيس ، وهذا أحد ما جاء على فعيل من أفعل

فى التاج فى شرح الفصيح لمحمد الهروى : (وحبست الرجل عن حاجته وفى الحبس فهو محبوس) إذا منعته من التصرف فى أموره أو أحبست فرساً فى سبيل الله فهو محبس وحبيس) إذا جعلته وقفاً على الغزاة يجاهدون عليه ، ومنعت من بيعه وهبته

فى التاج : وفى شرح الفصيح لابن درستويه[1] : أما قوله : أحبست فرساً فى سبيل الله بمعنى جعلته محبوساً فدخلت الألف لهذا المعنى لأنه من مواضعها ، ولا يمتنع أن يقال حبست فرسى فى سبيل الله كما تقول العامة لأنه إذا أحبس فقد حبس ولكن قد استعمل هذا فى الوقف من الخيل وسائر الأموال التى منعت من البيع والهبة

١٢ — (ص ١٩) ... قال (زياد) لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين ، فقال له ابن عباس : ما ترك الناس التحية بينهم بين يدى أمرائهم ، فقال له معاوية : كف عنه يابن عباس ، فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غَلَبْت

قلت : غُلِبت ، فمعاوية لم يخاطب ابن عباس — وقد صره أدب أخيه — مصوباً بل مخطئاً

١٣ — (ص ١٥) ... ثم دخل (معاوية) على أبيه أبى سفيان ، فقال له : يا بنى ، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا ففرقهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعاً وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيما من أمرهم ، فلا تخالفن أمرهم ؛ فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه

وجاء فى الشرح : لتنفست فيه كناية عن الاستراحة بعد بلوغ الغاية

قلت : لتنوفست فيه أى غولبت وقوهرت ، غالبك أقرانك وقاهروك أو نافسوك فيه كنفسوه عليك ، ونفس عليه بالشىء ضن به ولم يره يستأهله

١٤ — (ص ١٢) ... فى جنب صلاح العامة وتلافى الخاصة

قلت : وتألف الخاصة

فى حديث حنين : إنى أعطى رجالاً حديثى عهد بكفر ، أتألفهم ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال

وقد جاء فى حاشية (تلافى الخاصة) : فى عيون الأخبار : وتلافى الحادث قبل تفاقمه

قلت : هنا يجىء التلافى فى محله

١٥ — (ص ٣٥٩) ... فأرْوِنى تألف لى نوافرها ، ويسكن رُوعى . قال : قد فعلت ...

قلت : فأروِدنى ، والإرواد الإمهال ؛ وفى غير العقد هذه الرواية فى هذا الخبر : (فليمهلنى أمير المؤمنين ريثما يتألف نافر القول[1] والروع بالضم القلب ، وبالفتح الفزع

١٦ — (ص ٣٦٨) ... قال : فمن كان أبا النجم مثواك ؟ قال : رجلين أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر

قلت : أبا مثواك . أتغدى

فى الأساس : وهو أبو مثواى ، وهى أم مثواى : لمن أنت نازل به . قال :

أفى كل يوم أم مثوى تسوسنى ... تُنغِّص أثوابى وتسألنى ما سمى؟

فى التاج : الغداء[2] طعام الغدوة ، ج أغدية وتغدى أكل

---

(١) ابن خلكان : درستويه بضم الدال والراء وسكون السين وضم التاء وسكون الواو وفتح الياء وبعدها هاء ساكنة هكذا قاله السمعانى ، وقال غيره ، هو بفتح الدال والراء والواو ...

(١) المعارف لابن قتيبة ، والبستان للنشائى ص ١١٦

(٢) فى الصحاح : إذا قيل لك : أدن فتغد قلت : ما بى من تغد ولا تعش ، ولا تقل ما بى غداء ولا عشاء لأنه الطعام بعينه

صه وحى الهجرة

شكاة ونجوى ...

[مهداة إلى الرجل الكبير الذى أخذ بيدى فى الحياة ... إلى خال]

للأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

... متى يا رسول الله متى ... تكتحل عيناى بالتطلع إلى مقامك الكريم فى أرض النبوة الطاهرة ... ويقدر لى أن أقف بين يديك : أقرؤك السلام ، وأبثك الحنين ، وأفنى فى لثمات أعتابك ؟ ...

لقد طال بى الشوق ، يا رسول الله ، إلى التراب الذى لامس قدميك ، والأرض التى وطأت ركائبك ، والجو الذى نثرت فيه النسيم والسلام ... فمتى يا رسول الله ... متى ؟ ...

إن الحنين ليحدونى ، وإن الحب ليهزنى ، وإنى لأجد فى قلبى النور ، وفى عينى الضياء ، وعلى شفتى النفحات الحلوة ... حين أرانى فى مقامك يا رسول الله : هادئ النفس ، مطمئن الخاطر ، كما يطمئن الإنسان إلى خيالات الأمل ، ويهدأ إلى صور الخير ، ويهيم فى أودية من الجمال ...

... متى يا رسول الله : ينسم عبق مكة ، فأنتشى بهذا النسيم ... وأعب منه ملء رئتى ، وأذكر معه هذه البلاد التى كانت مثوى الضلالات ، ففاضت بالنور ... وكانت مثابة العصبيات ، فتدفقت بالتسامح ... وعاشت أبداً فى ظلام الجهل وحماقة الهوى وسلطان الغرض ... ولكنها بدلتها أنوار المعرفة ونسمة العقل وزينة العلم ...

... إنى لتستثيرنى الذكرى يا رسول الله ... يا أسمى من كل إنسان ، وأرفع من كل بشر ، وأكرم من كل مخلوق ... فأصغت لنجواها العنب ، وأنصت لحديثها الرطب ، وأهيم فى دنياها الرفافة التى تموج بالأمان ، وتزدهر بالسلام ، وتتسم بالحب ... فمتى يا رسول الله ... متى أمرّغ خدى بأعتابك الطهور وأقبل بشفتى أرضك الحلوة ، وأغيّب وجهى فى أطراف الستائر التى ترف حواليك رفيف الأمل فى القلوب الآيسة ... كأنما تنعش فيها الموات ، وتبعث فيها الحياة ، وترد عليها التحية ...

— ٢ —

... متى يا رسول الله ... يظلنى المسجد النضر ، لأحدثك حديث هؤلاء الذين تركتهم على بيضاء نقية لا يضل فيها السالك ولا يحار فيها السارى ؛ فإذا هم قد ضلوا الطريق ، وتنكبوا السبيل وتاهوا فى بيد مظلمة ... لا يجدون المخرج ، ولا يلقون المنفذ ، ولا تتراءى لهم أمارات الهداية ...

هؤلاء ، يا رسول الله ، الذين خلفت فيهم القرآن ، وأوضحت لهم الغاية ؛ وحلقت بهم فى أجواء السمو ، وآفاق المجد ، ودنيا السيادة ؛ قد ذلوا ... فضعفوا عن الحق ، وسكتوا عن الواجب ، واستخذوا لإرادة الناس الحقيرة . واطمأنوا إلى هذا الاستخذاء وهذا الضعف — فإذا قلوبهم غلف ، وإذا آذانهم صم ، وإذا الدعوات التى تستمد منك قوتها ، وتستلهم من وحيك نورها ... لا تفعل فيهم إلا ما تفعل النسمات الطائفة فى الصخور القاسية !

... إن الألم ليثمر النفوس العامرة يا رسول الله فتتقد عن العمل ، وإن اليأس ليملأ القلوب النقية ليفسد عليها الأمل ؛ وأن المحبات لتترى ... فمن يذكرنا مواطن العظمة فى حياتك وسر الخلود فى دعوتك ، وجمال الصبر فى جهادك ؟ من يبث ذلك فى قلوبنا يا رسول الله ؟ ... من ينثره فى أذهاننا كما تنثر السماء سحب الرحمة ؟ ... من يقول لنا هذا هو الطريق ... بعد أن باعدت بيننا وبينك ضلالات فيها السحر ، وصرفتنا عنك فتن فيها الإغراء

... أين أنت يا رسول الله ، لتشهد المسلمين اليوم وقد نكبوا

أول النهار ، وغديته تغذية أطعمته فى ذلك الوقت وفى الغداء والعشاء غذاء [1] ...

١٧ — (ص ٣٣٤ ، ٣٣٥) ... وجعل ينادى : أبا عدى أقر أضيافك ...

... فقال : إن حاتماً جاء فى النوم فذكر لى قولك وأنه أقراك وأصحابك راحلتك

قلت : أبا عدى ، إقر أضيافك ، وأنه قراك [2]

قرى يقرى (كرمى يرمى) قِرى وقَراء . وأقراه طلب منه القرى

* * *

(١) الغداء كالماء ما به نماء الجسم وقوامه (القاموس)

(٢) فى خزانة البغدادى : ... ويقول : اقرنا ... وزعم أنه قراكم بناقه ...

قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقر قبر قبله الحمر راكبا

بالفرقة ، وابتلوا بالنزاع فإذا هم لا يد فى حكم ، ولا شأن فى سيطرة ، ولا رأى فى مشورة ، يعيشون فى هامش الحياة كما تعيش النبتة الصغيرة فى ظل الشجرة الضخمة فى جو معتم من الولاء ، لا يعتد لها غصن يقبّل النور ، ولا يشتد لها ساعد يحيى السماء !

أين من يقول لهؤلاء المسلمين يارسول الله إنك كنت تجاهد للحياة التى تحل الضعف ، وتستهجن الصمت ، وتكره الهدوء ؟

أين من يقول لهم إن هذا الهدوء الذى يطمئنون إليه أول نذر الموت ، وأدلة الفناء

لشد ما نحتاج إلى هديك يا رسول الله — لندرك أن الدنيا ليست دنيا الشهوات التى تقبل عليها ، والغايات التى تسعى إليها ، والمنافع التى تتكالب فى سبيلها — ولكنها دنيا الحياة الحرة التى لا تستعبد فيها نفوس ، ولا تحنى رءوس ، ولا تبذل كرامات .

— لقد ضل القوم يا رسول الله — وزين ذلك فى قلوبهم — فمن يكشف لهم عن وضح الحق ؟... من يرفع عليهم حجب الضلالات ؟ ومن يصرف هذه السحب القاتمة من فوق رءوسهم ، ومن بين أيديهم تشوه فيهم العقيدة ، وتفسد عليهم الإيمان

— ٤ —

يا رسول الله إلى الناس ... لقد عمى الناس عن الخير ، لا يفقهون معناه ولا يحسون جماله ، وإنما يتخبطون فى ظلمات الشر وفى دياجير الخصومات . فى أيديهم حراب ، وفى أيمانهم قذائف ، وعلى وجوههم أقنعة ... يتراشقون السهام ويتبادلون القذائف ، ويصطرعون فى هذه الكهوف المعتمة من المادة ، وهذه الأجواء الضيقة من الطيش ... فهلا انتبه أنصارك يا رسول الله فى هذه الفترة من الزمن ، فانتهزوا الفرصة البارقة ، ينشرون أردية السلام ، ويمشون دعوة الحق ، ويهتفون بالصيحة الكبرى !...

... حبذا يا رسول الله ... حبذا الساعة التى ينشدون فيها نشيد اليقظة ويرددون صرخة الحق ، ويحققون أروع ما جئت به من مبادئ السلام ، وتتموج على حاشية الأفق راياتهم التى تذكر الناس أكرم ما دعوت إليه وما جاهدت من أجله ... وتتلألأ فى صفحة السماء آياتك النر ، تهدى السالكين ، وتأخذ بيد الحيارى ، وتزرع فى النفس معانى الحب والطمأنينة والنبطة

— ٥ —

ألا هل فى قوانا طاقة ، وفى وسعنا جهد ... فنحمل هذا العبء يا رسول الله ؟ ونهض بهذه الصرخة ، ونوقد المصباح :

زيته من دمائنا ، وذبالته من نفوسنا ؛ ونجعل من أجسامنا مغرز الراية ومغرس العلم ؟... وهل فى أعمارنا آجال فنرى هديك فوق كل هدى ، وكلمتك فوق كل كلمة ، وتنعم أعيننا بالإنسانية المطمئنة إلى الحياة الآمنة التى تختطها ، والسبيل السوى الذى ترسمه ؟...

... إن العالم يا رسول الله ليموج فى حالك من الظلمة ، وإنه ليسبح فى جاهلية من الهوى ... كهذه الجاهلية التى بددت ظلماتها ، وكشفت غياهبها ، ونشرت فى جنباتها الهداية ... فهلا أهبت بأنصارك ليتأسوا بك ... وليهاجروا إليك ... وليبدءوا دعوتهم بمثل ما بدأتها من قوة وعزيمة وجلد ؟ !

... ركب الإنسانية يستغيث بك يا رسول الله إلى الناس ... فاسأل الله له السلامة فى مهمه التراتر ، والخلاص من ربقة الأهواء ، والنجاة من حرب الغل والضغائن ... وخذ بزمامه إلى ساحل النجاة ، فقد سئم صراع الموج ، وزمجرة الغضب ... وضاق بفوضى المذاهب ، وخداع المظاهر ، وتناحر الآراء . وأسلم وجهه إلى الله . إلى الله وحده يؤمن به ، ويعمل له ، ويتكل عليه

... هذه حالنا يا رسول الله ... فمتى ينبثق الفجر من خلال الضباب الكثيف ، ومتى تبصر العين وجه الحياة : لا تغطيها الدموع ، ولا تخدعها المظاهر ... ومتى يجد المدلجون فى سفين الزمن شعاعات الرحمة وأنوار الهداية ؟

— ٦ —

إن الحديث يا رسول الله ليفجر ينابيع الألم ، وإنه لينشر صفحات كابية : فى إطارها سواد ، وفى جنباتها حزن ، وفى رحابها تاريخ يشهد بالضعف والخور . فما أحوجنا أن نهاجر إليك فنملأ صدورنا من روحك الندى ونظهر عزائمنا بسبقك المطرى ، وندفع هذا الصدأ الذى يأكل نفوسنا بالتمرغ فى أعتابك الطاهرات

إنى لأرثو يا رسول الله إلى هذه الساعات ؛ وإنى لأهيل عليها الصور ، وأريق عليها الزخارف ... فلا أبلغ بها معشار ما يكتنفها من روعة ، وما يحوطها من جلال ... فمتى أشهد هذا الجلال ، فى مسجدك المتألق ، وروضتك الطاهرة ، وضريحك الحى ؟ !

آه يا رسول الله ... ما أشد حنينى إلى نسمات الصحراء ، ولفحات الشمس ، وجرعات زمزم

والسلام عليك يا سيدى يا رسول الله

شكرى فيصل

حكم استئنافيا جنرم عبد المعبود عبد النبى البقال بمصر الجديدة بالقضية ٦٨٨٢ بجلسة ٧ سبتمبر سنة ٩٤٠ جنيها ونصف ليبه كبريتا بأزيد من التسعيرة

من سماحة الإسلام

الله الله !

للأستاذ كامل محمود حبيب

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتو الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ؟ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ؟ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ؛ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

(قرآن كريم)

ما لهذا الشيخ يقضي يومه مقبلاً مدبراً يختلس النظر إلى جماعات الأنصار وهم جلوس يتحدثون في هدوء ، وعلى وجوههم نور الهداية يتألق ؟ ماله يغضهم بنظراته وإن عينيه لتقدحان شرراً ، وإن قلبه ليضطرم حسداً ، وإنه ليحدث نفسه - في مفداه ومراحه - يقول : يا ويلي ! لقد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار ! لعله يهيئ أمراً أو يصنع حادثة

إنه شيخ من يهود قد عسا ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، يحز في نفسه ما يرى بين الأوس والخزرج من ألفة وإخاء ، وينيظه أن تجمعهم آصرة أو تربطهم وشيجة ، وهو كان يتربص بهم الدوائر منذ يوم بعاث وما كان قبله ... إنه هو شاس بن قيس

لا جرم ، فلقد كان شاس بعض الفئة الباغية من يهود ممن عتوا عن أمر ربهم ونصبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة والبغضاء بغياً بغير حق ولا علم ، يتعنتونه ، ويأتونه بالّلبس ليلبسوا الحق بالباطل ، ويحاولون جهدهم أن يفتنوه ؛ ممن انحدر في دمائهم حب المنت ، وأشربوا في قلوبهم روح المكابرة من لدن مَن قال من أجدادهم : « أرنا الله جهرة » حتى مشرق الإسلام على جزيرة العرب ؛ ممن عموا وتاهوا وارتدغوا في لجاة الضلالة على يدي علمهم

أفكان لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يلم شعث هذا الناس ويجمع شتاتهم على كلمة الدين ... كلمة الأمان والسلام بعد ما كان بينهم من تنافر وتنابذ في يوم بعاث ومن قبله يوم مغلّس ومضرس ، ثم لا يتلمس هذا الفاسق حيلة يريد أن يطفئ بها نور الله وأن يؤرث بها ضغائن مسحت عليها يد الإسلام الرفيقة ؟ أفكان للدين الجديد أن ينفث سحره في قلوب الأعداء فيصبحوا بنعمة الله إخواناً . ثم لا يجد هذا الفاجر مَسّ الشيطان في قرارة نفسه يوشك أن يعصف به ؟

لعمري إنه ليعلم أن هذا هو الدين الذي كان ينتظر ، يجده مكتوباً عنده في التوراة ؛ وهذا هو النبي الذي كانوا يستفتحون به على أهل الشرك من قبل أن يأتيهم ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وأعرضوا عنه ، وحملوا عليه ، حسداً من عند أنفسهم

* * *

وانطلق شاس يفتش عن دواء لداء الغل الذي يحز في نفسه فيثور به فيمنعه القرار ، وينبثق في حيائه قلقاً ما يطمئن ... انطلق والشيطان يدفعه ويوسوس له ، فاستنام إلى رأي الشيطان

ولا ريب ، فللشيطان قدرة على أن يحل كل مشكلة بطريقة شيطانية تبذر — دائماً — غراس الخراب والدمار ، وتلد — أبداً — الشقاق والبغضاء

وجلس الشيخ إلى فتى غرّ أهوج من فتيان يهود يتملقه حيناً وينشر على عينيه ضعفه حيناً ؛ وراح الشيخ يمكر بالفتى يقول : « ... واتخذوني يا بني سخرية إن أنا أقبلت أو أدبرت ؛ وأنا رجل كبّار ، قد دقّ عظمي وتقبّض جلدي على مثل ما ترى ، لا حول لي ولا طول ، وهم ما ينفكون يهزأون بكتابنا ويحتقرون ديننا ويتندرون على أحبارنا ، فنستشعر الهوان والقلة ونحن كنا في العز والمنعة . ومَن لنا والدين إن لم نجد في شبابنا وهم كثر ، مَن يرد عنا كيد هؤلاء ويدفع أذاهم . يا بني ... يا بني ... »

وأطرق الفتى يتسمّع دويّ صوت الشيخ ، وإن الكلمات ليتردد صداها في مسمعيه فيخترق شغاف قلبه فيلقى السّلم إلى أستاذه رويداً رويداً . ولا ضير فهو يحس مسكنة الرجل وانكساره

ورأى شاس الخديعة تنطلي على الشاب حين أسلس وانقاد فاندفع بحكم العقدة ، فأقبل على الفتى يقول : « يا عجباً ، لقد عرفتك أيداً جلداً إذا حزب الأمر أو أعضلت المسألة ، فما بالك الآن حيران لا تتماسك ؟ لعل خشية القوم قد تسربت إلى قلبك

فانخلع فؤادك رهبة وجزعاً !» . فأجاب الفتى فى سرعة : « كلا ، كلا يا سيدى ، ولكنى لا أجد الرأى »

فقال الشيخ فى هدوء : « الرأى عندى أن نسى فنفرق كلمتهم ونصدع ألفتهم فتتكسر شوكتهم وتهد قوتهم ، ونظهر نحن عليهم » قال الفتى : « وكيف ؟ » فأجابه الشيخ : « تعمد أنت إلى القوم وهم فى مجلسهم يتسامرون فتذكرهم بأيام الجاهلية وتبعث فى نفوسهم ذكرى ضغائن شغلتهم عنها أعباء الدين الجديد ، وتنشر على أعينهم حديث يوم بعاث وما كان قبله ، وتنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من أشعار ... هذه ، يا بنى ، هى الشرارة الأولى ؛ ولا عجب إن هى صيّرت بينهم نار الحرب التى انطفأت منذ حين

وراح الفتى يندس بين جماعة من الأنصار يصحبه الشيطان ، وأخذ يحمل القوم رويداً رويداً على ذكر أيام خلت ، ويقص حادثات تبعث ميت الحقد ، وتثير دفائن الغيظ ، ثم هو يتلوى فى حديثه ليذكر غلبة الأوس واستخذاء الخزرج ...

ونفذ الفتى من ثغرات ضيقة إلى قرار القلوب ، فتغلغل الحديث فى نفوس القوم ، وتشعب الكلام فنوناً ، واندفع كل حزب يفاخر صاحبه وياهيه ، ويتطاول عليه ويكاثره ... ثم جرى الأمر بين أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث من الأوس ، وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتواثبا على الركب يريد واحد أن يبطش بصاحبه ، وتناثرت بينهما ألفاظ طمست على صفاء كان بينهما منذ ساعة ؛ وانحازت طائفة من الأوس إلى صاحبهم ، وأعان الخزرج محاميهم ، وانفرط العقد ، ودبّ دبيب الشحناء ، وبدت البغضاء على وجوه القوم ، وطغت عليهم طبائع الجاهلية التى تنشأوا عليها وعاشت فى دمائهم سنوات وسنوات ؛ فقال واحد لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جَذَعَةً » . فغضب الفريقان جميعاً وقالوا : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة » . ونفر القوم وهم ينادون : السلاح السلاح !

* * *

وأقبل شاس بن قيس فى جماعة من ضلاّل يهود يرقبون ويبصرون ، وفى رأيهم أن كيد الكافر يفلح ، على حين أخذ الفريقان من الأوس والخزرج ينسلون فى السلاح إلى موعدهم ، إلى الظاهرة . وكادت الفتنة أن تقع فينهار صرح مشيد على يدى فاسق زنديق ، لولا أن مَنّ الله على أوليائه ، فأنقذهم وهم على شفا جرف

وانطلق رسول السلام إلى رسول الله (ص) يخبره الخبر ، « . . . وطارت الهيعة تجمع شتاتهم على باطل ، فهم هناك فى الظاهرة ، تكاد نقمة الله أن تنحط عليهم فيرتدوا كافرين »

فخرج إليهم رسول الله (ص) قبل أن يبلغ الشيطان غايته ... خرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم وإن سيفاً يوشك أن يقرع سيفاً ، فناداهم : « يا معشر المسلمين ، اللهَ اللهَ ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف به بين قلوبكم »

وأفاق الأنصار من ذهول حين هبطت كلمات الرسول (ص) على القلوب برداً وسلاماً ، فبدت لهم سيئات ما عملوا وتخاذلت أيدٍ كانت تحمل السلاح ، وأقبل بعض على بعض يتعانقون ويبكون ؛ وانسل الشيطان من بين الفريقين وقد كبته الله ، وارتد عدو الله شاس يستشعر الذلة والهوان . وتصافت قلوب كانت توشك أن تتهاوى على أسنة الرماح لأنها أصغت إلى حديث الشيطان ساعة من زمان . . . تصافت ، لأن قوة الإيمان سماوية تترفع — أبداً — عن الحزازات الأرضية

(المحلة الكبرى الثانوية) كامل محمود حبيب

وزارة المعارف العمومية

ادارة التوريدات

إعلان

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلكى بالقاهرة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين ١٧ مارس سنة ٩٤١ عن توريد ٢٢٦٠ قنطاراً صوف شعر أنواع ويمكن الحصول على قائمة المناقصة وشروط التوريد من مخازن وزارة المعارف العمومية بشارع درب الجماميز بالقاهرة بعد دفع ثمنها وقدره ١٠٠ مائة مليم . ٧٨٣٢

من فصول التاريخ

بناءون منسيون
فى تاريخ الامبراطورية البريطانية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تقابل الأمبراطورية البريطانية اليوم محنة قاسية ، هى شر ما ابتليت به فى تاريخها . ولا نستطيع أن نسبق الحوادث ، أو نحكم على المستقبل ، فإن فى ذلك رجماً بالغيب ورمياً بالمجهول ، ولكن الذى لا شك فيه أن هذه الأمبراطورية الواسعة الأطراف تتماسك على المحن وتزداد صلابة على الحوادث ؛ وإذا كان فى الماضى والحاضر دلالة على الآتى وعنوان على المستقبل ، فإن ماضى الأمبراطورية وحاضرها يبشران بمستقبل تعود فيه الأمور إلى قرارها ، وترجع الأحوال إلى نصابها

ولم يسبق فى تاريخ البشرية الحافل ومعرضها المملوء بالحوادث الجسام والأحداث العظام أن تجمع الملمات والظروف القاسية قرابة خمسمائة ألف ألف (٥٠٠ مليون) من أناس يختلفون فى العقيدة، ويختلفون فى لغاتهم وألسنتهم ، ويختلفون فى ألوانهم ، فتراهم جميعاً صفاً واحداً وبناء متماسكاً : تؤلف المصالح المشتركة والعواطف المتحدة بينهم

ولقد قامت فى التاريخ امبراطوريات عظيمة : كالإمبراطورية الرومانية ، والإمبراطورية المصرية القديمة ، والإمبراطورية الإسلامية ؛ ولكنها جميعاً انتابها ما ينتاب الكائنات : فطويت أخبارها وضاعت مقومات وجودها ، ولم يبق منها إلا ذكر يتردد فى أسفار التاريخ

ولكل امبراطورية بناءون اشتركوا فى بنائها ووضعوا فيها اللبنة فوق اللبنة ، والحجر فوق الحجر ، حتى ارتفع البناء واستطال فى الجو ؛ وبعض هؤلاء البنائين مشهورون معروفون تردد الألسنة ذكرهم ، وتقترن أعلامهم دائماً باسم الأمبراطورية التى أقاموا بناءها ورفعوا لواءها ؛ وبعض هؤلاء البنائين منسيون مغمورون لا يهتف باسمهم لسان ولا يتردد ذكرهم على فم ، على حين تبقى أعمالهم خالدة دائمة ، لا تنتسب إلى صانع ولا تنتمى إلى مؤسس

وهؤلاء المنسيون فى كل أمة ، وفى كل واد ، وفى كل ناحية من نواحى الحياة . ففى بناة الأمم منسيون ، وفى العلماء مغمورون وفى الشعراء والأدباء مطويون مقبورون

وليس من الحق أن يطول الأمد على نسيان هؤلاء الناس ، وليس من العدل أن تظل أسماؤهم مكتومة وحياتهم غامضة ؛ وليس مما يشرف الإنسانية أن الجور يجرى على أحكامها ، وأن المحاباة تدخل فى تقديرها وحسابها ، فهى أعدل من تطلب عنده النصفة ويلتمس منه التقدير

وفى تاريخ الأمة الإسلامية كثير من أمثال هذا النسيان ، كما فى تاريخ غيرها من الأمم . فليس من العدل أن يذكر اسم « الحجاج بن يوسف الثقفى » فى توطيد الملك لبنى أمية وينسى عشرات غيره ممن لا يقلون عنه يداً فى دعائم التثبيت . وليس من الحق أن يذكر أبو مسلم الخراسانى فى الدعوة للدولة العباسية وينسى غيره ممن ساعدوا فى بناء هذا الملك الذى يقول فيه الشاعر العباسى :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بنى العباس

نعم إن فى بناء الممالك وقيام الإمبراطوريات عوامل أخرى تقوم بجانب العوامل الشخصية ؛ وإذا كانت هذه العوامل الأخرى تذكر فى معرض البحث ومجال الدرس ويلقى عليها ضوء يكشف عن وجاها ، فإن العوامل الشخصية أحق بأن تذكر جميعاً ، وألا يطوى النسيان واحداً أو اثنين أو جماعة منها

والذى يتتبع تاريخ الإمبراطورية البريطانية يجد فيها أسماء كثيرة يعرفها كل شخص ، ويرددها كل لسان ، يلقنها الطفل فى مهده ، ويقرأ عنها فى دراسته الأولى ، ويستزيد البحث عنها كلما كبرت سنه ، وكثرميله إلى المعرفة ، وزاد شوقه إلى الاطلاع

فهناك (رودس) وأعماله الخالدة فى جنوب أفريقية ، وهناك (كوك) الملاح المستكشف الرحالة الذى راح ضحية مغامراته العظيمة فقتل بأيدى جماعة من سكان جزائر ساندويتش الوطنيين ، وهناك (وولف) القائد العظيم الذى وطد للامبراطورية فى كندا وظهر فى حصار (لويسبرج) واحتلال (كوبيك) فى مفتتح القرن الثامن عشر ؛ وهناك (نلسون) أمير البحر العظيم الذى جرح جرحاً بليغاً فى معركة الطرف الأغر ضد الفرنسيين فلم يمنعه ذلك أن يقوم بواجبه وهو فى ساعة النزع الأخير ، وقد حشرجت نفسه وضاق بها الصدر

وهناك (دريك) « وكلايف » الذى مكّن لانجلترا فى بلاد الهند الواسعة وجعلها ملكاً للتاج البريطانى . وهناك عشرات غير هؤلاء يعرف الناس من أنبائهم الكثير

ولكن من سمع فى تاريخ الأمبراطورية البريطانية عن (كلسى) ؟ ومن حفظ اسم السير (جون ريتشاردز) ؟ ومن خطر على باله أن يذكر فى معرض الحديث عن القارة المجهولة الأفريقية اسم (موفات) ؟

هذه أسماء ثلاثة لا أظن أن قارئاً سمع بها أو عرف نبأ عنها . فهى مطوية فى تاريخ الأمبراطورية مسدول عليها ستار كثيف من النسيان ؛ إلى أن تناولها الكاتب الإنجليزى الكبير (آدام بوزويل) فى إحدى المجلات الإنجليزية من شهور قريبة ، وعرف كيف يقدمها إلى قرائه فى إنصاف بعيد عن التهويل والتهليل ، وتجنب أن يضفى عليها ثوباً فياضاً من المبالغة والخيال.

أما (كلسى Kelsey) ؛ فقد نشأ وضيع المنشأ ، فقير الأهل صرعه الجوع يوماً فسقط مغشياً عليه ، فالتقطه أحد الموظفين بشركة (هادسون باى) وحمله معه على إحدى البواخر حتى بلغا (فورت نلسون) ، وهو يناء خرب متصدع الأركان يحيط به فضاء موحش ، وهناك قام عمل الفراء على يد هذه الشركة

وكان (كلسى) غلاماً شقياً لا يطيع أمراً ، ولا يحترم إرادة ، فحمل إلى الحاكم فأمر بجلده . وتقلبت عليه سنون سود اختلط فيها بالهنود فى كندا وعاش عيشتهم ، وأخذ أخذهم ، إلى أن حان له وقت البناء لمجد بلاده فألّب الهنود على الفرنسيين فى كندا ، وكان الهنود يحبونه ولا يعصون له أمراً ؛ فانهالوا على الفرنسيين من كل جانب وأخرجوهم ، ومكّنوا للانجليز فى السلطان

وكانت القبائل تدخل فى طاعته ، وتنقاد إلى زعمته بدافع من المحبة له ، وهو أول إنجليزى كشف شمال كندا الغربى وأضافه برمته إلى أملاك الإمبراطورية

أما (جون ريتشاردز) فكان ابن فلاح من غمار الناس لا من خواصهم . دخل فى الجيش جندياً صغيراً جداً لا يؤبه له ولا يعتد به ، ثم أصبح فى زمن يسير قائداً عاماً

وفى أوائل القرن الثامن عشر كان مؤمراً على كتيبة من الجند فى مدينة (أليكانت) ببلاد أسبانيا . وقد كان من حظ انجلترا أن تقاتل ضد فرنسا فى ذلك الحين . ولكن شجاعة « ريتشاردز » وروحه المعنوية القوية سرت إلى ضباطه الصغار وجنوده ، فقابلوا خطراً محققاً من لغم وضعه الفرنسيون لهم ، ولم يحيدوا عن أماكنهم ؛ أو يتزحزحوا عن مواقفهم ؛ إطاعة لأمر قائدهم . وانفجر اللغم فمات منهم عدد كثير . ومات القائد فى طليعة ذلك العدد

ولكن موتهم كانت حياة لمن بقى بعدهم . فقد ثبت الباقون منهم أمام أعدائهم ، ولم يلقوا سلاحاً أو يرموا عدة من عدد الحرب حتى جاءهم عدد كبير تحت قيادة أمير البحر الإنجليزى (بنجز) الذى اضطر الفرنسيين إلى الفرار وتولية الأدبار

وبهذه الشجاعة الأدبية الفائقة ، والتضحية الحق التى بذلها (ريتشاردز) استطاع عشرات من الجنود الإنجليز أن يعوّقوا عشرة آلاف جندى من الفرنسيين عن القتال ، وأن يؤخروهم حتى يجىء المدد ويتم النصر ، ويقضى على محاولة فرنسا لتستولى على أملاك الإمبراطورية البريطانية

أما (موفات) فلم يسمع به أحد إلا القليل ممن يقرءون تاريخ الكشف الإفريقى ، وأين منه مثلاً الاسم الواسع العريض الذى يتمتع به ليفنجستون ؟ والحق أن هذا الأخير قد قرر فيما قرره أن أعماله فى أفريقية كادت تكون عملاً مستحيلاً لولا أن (موفات) ذلل له السبيل ، ومهد له الطريق

كان (موفات) من أسرة وضيعة الحال ، إلا أن ذلك لم يمنعه أن يكون أحد البنائين المنسيين فى الإمبراطورية البريطانية . والحق أن بناء الأمم لا يحتاج إلى شخصيات من ذوى الحسب وأصحاب النشب ؛ بل كثيراً ما تكون الإرادة القوية والعزيمة الصادقة ، والتضحية الفائقة هى العوامل الفعالة فى رفع البناء . وإذا تجردنا من الهوى نجد أن أعظم الدكتاتورين المعاصرين هم من أسر رقيقة الحال ، ومن طبقات لم تبلغ مكان السيادة ، ولا محل القيادة .

وكذلك كان (موفات) . فقد ظل يعمل فى أفريقية مدة خمسين عاماً بين زنوج أفريقية . وكان أمة وحده فى نشر الدعوة للامبراطورية فى وقت لم تشهد القارة السوداء فيه وجهاً واحداً من ذوى البشرة البيضاء ، والعيون الزرق .

ولقد أحبه الرحالة العظيم لفنجستون ، ووثق به واطمأن إليه وتزوج إبنته . وكان (موفات) فى البعثة التى ذهبت إلى أفريقيا بعد عيشة خمسين عاماً فيها ليبحث عن جميع أنبائه فى مجاهل القارة المظلمة

[مترجمة عن انجلش ديجست]

محمد عبد الغنى حسن

كلمة أخيرة

التقليـــد فى الفنون

أو نسخ «الكربون»

للأستاذ سيد قطب

التعبير الفنى فى كل صورة من صوره ـ أدباً كان أم تصويراً أم نحتاً أم غناء أم موسيقى ـ هو انبعاث ذاتى ، وفيض نفسى ، وانفعال شخصى ، يتميز فيه كل فنان عن كل فنان

والله الذى جعل بصمات الأصابع مختلفة فى كل إنسان عن كل إنسان ـ وهى خاصة جسمية ـ جعل الشعور الإنسانى والطبائع البشرية أشد اختلافاً وأكثر تفاوتاً ، لأن الملامح النفسية أجدر بالتفاوت والاختلاف من الملامح الجسمية فى بنى الإنسان

وتفاوت الطبائع الفنية هو المبرر لظهور الفنان بعد الفنان ، حتى يكون للحياة من هـذه الطبائع معرض حافل بصورها المختلفة ، ذلك أن للفن صورة الحياة فى نفس فنان ، وحين تختلف الصور وتتعدد ، يحفل المعرض الخالد بالصور العجيبة

وحين ينعدم هذا التفاوت والتميز الطوبان فى الفنان ، ينعدم المبرر الأول لظهوره على مسرح الفنون ، ويفقد حجته فى تمثيل دوره فى الحياة التى لا تحفل بالنسخ المكرورة المعادة ، ولا تبالى سوى الجديد المتميز تكثر به نتاجها الممتاز ، وتزيد فى معرضها العجيب

تلك بديهيات مقررة ، ولـكننا هنا فى مصر نحتاج أن نبدئ فيها ونعيد وأن نشرحها ونضرب الأمثلة لها ، ولو نقلت هذه الشروح والأمثلة إلى أية لغـة لـكانت عجباً هناك بين القارئين ، ودليلاً أى دليل على مبلغ تأخرنا فى فهم وظيفة الفنون ، بينما نحن فى مصر لا نزال فى حاجة إلى المزيد !

وقد كان مسيراً أن يقلد شاعر شاعراً ، وموسيقى موسيقياً ، ومطرب مطرباً ، فى طريقة إحساسه أو طريقة أدائه ، ولو كان هذا التقليد غير مقصود ، لأنه يعارض غرض الحياة الأول من إظهار فنان بعد فنان ، ويعطل وظيفة الفن الأولى من إبراز النماذج والأنماط

وظل هذا التقليد المستتر العارض مسيراً ، حتى فوجئنا أخيراً ببدعة فاقت كل ما كان يخطر على البال من جراء المسخ الذى أصاب الغناء المصرى ، تلك هى ظهور مطرب أو أكثر يقول علناً : إنه يغنى على طريقة مطرب آخر ، ويذيع فعلاً ، فإذا هو صورة أخرى من أستاذه أو نسخة من نسخ « الـكربون » !

كنا ننتظر كل مسخ أو تشويه للطبيعة البشرية ـ ودعك من الطبيعة الفنية الممتازة ـ إلا أن يصل هذا المسخ إلى رضاء إنسان أن يكون نسخة أخرى من إنسان ، ونسخة مشوهة بطبيعة الحال كنسخة « الـكربون » بالقياس إلى النسخة الأصلية

ولست أدرى ما يبرر وجود النسخة الثانية متى كان فى الإمكان الاطلاع على النسخة الأولى . ولست أدرى لـماذا يكلف إنسان نفسه مشقة الاطلاع على نسختين مكرورتين أو أكثر وفى واحدة غناء عن الأخريات ؟

وما أدرى أسأل المطرب المقلد أو المطربون المقلدون والمطربات المقلدات أنفسهم هذا السؤال ؟ وهل علموا أنهم يلغون وجودهم ويفقدون المبرر الأول لهذا الوجود ، أم لم يدر فى أخلادهم مثل هذه الأسئلة وهم يندفعون إلى التقليد ؟

***

وبعد فلو عزت الدلائل على المسخ والتشويه الذى بلى به عالم الموسيقى والغناء ، فى هذا التقليد الواضح المكشوف دليل لا ينقض على هذا البلاء ، دليل على هؤلاء الذين يتصدون لأرفع وظيفة إنسانية وهم مجردون من المؤهلات البشرية الأولية التى ترتفع بالانسانية عن التماثل أو التشابه الملحوظين بين حجر وحجر أو زاحفة وزاحفة ، قبل أن تتميز الأشكال وتتنوع الأنماط فى عالم الطبيعة وعالم الحياة ...

وهو دليل على أننا لم نكن مبالغين حين نفضنا أيدينا من هؤلاء الناس ، ويئسنا من استطاعتهم تغيير أنفسهم وتبديل طبائعهم ؛ وحين التفتنا إلى هذه الأمة وحدها نتفحص عن نبع مطمور فى طبيعتها نرجو أن ينفجر فيكنسح هذه المخلفات

وفى ارتقاب هذه المعجزة نقضى الوقت فى تأملات وملاحظات علها تمهد الطريق للنبع المرموق !

يشقشق العصفور حين تمثل حويصلته بالحب والماء ، ويحس بالدفء والراحة ، ويأمن المخاوف والأخطار ، ويستشعر فى قواه فضلة دافقة يناجى بها الأليف ، ويطلب لها كفئاً من الأنيس

ويضني الإنسان — على مثال ما تشقشق الطير — حين يجد في نفسه فيضاً من شعور، وفضلة من طاقة، ويحس براحة للتعبير، ولذة في التنفيس. يستوي أن تكون هذه الطاقة من لذة أو ألم

وأن يكون ذلك الشعور من نعمة أو بلاء، والألم في هذه الحالة دليل قوة كاللذة سواء، ومبعثه امتلاء النفس بعاطفة ملحة، لإفراغها من الطاقة الدافعة

ولن يكون الفناء في أية حالة من الحالات دليل ضعف وانحسار في الوجدان، ولن ينبعث حين ينطوي المرء على نفسه وتفرغ الطاقة الدافعة في شعوره، فهذه الحالة حين توجد تبعث على الصمت لا على التعبير، وتنزع إلى الانزواء لا إلى الظهور

فالذين يغنون فينضح الضعف في أغانيهم، ويسيل التخاذل في نبراتهم، والتهالك في ألحانهم، هم جماعة من المتسولين الزائفين لا يليق بأمة أن تطمئن إلى قيامهم بأرفع وظائفها وهو التعبير الفني والقيادة الروحية والتطلع إلى الكمال

والحب المظلوم مع المؤلفين والملحنين والمطربين، هو الآخر دليل فيض في القوة لا دليل انحسار. فلن يحب الحب وهو مضعوف هزيل، ولن يبحث عن الحب إلا حين تفيض قواه، ويطلب لهذا الفيض إنساناً آخر يعاطفه ويكافئه؛ حتى الحيوان — لا يحب! — إلا حين تصح بنيته وتفيض غريزته فيطلب الأنثى، ويجهر بالحب على طريقة الحيوان!

وقد يبعث الحب الألم في بعض الأحيان، ولكنه لن يبعث الضعف في حالة من حالاته، ولا التميع في صورة من صوره؛ إلا أن يكون هذا الحب «السوق» المصطنع الذي يفيض به الغناء في هذه الأيام

إن حرقات الحب في حرمانه غريزة قوية كلذائذه في متاعه، وما كل هذه التكسرات و«المياعات» إلا دنس يلطخ وجه هذا الحب العزيز الكريم، ويشوه جبينه الطاهر النبيل، وما هو إلا مسخ للطبائع وتحريف للغرائز، أوضح ما فيه أنه يتزيا بزي الفنون

ومن المؤلم ألا يكون الغناء وحده هو الذي يفارق هذه الجريمة، بل يشاركه الشعر فيها؛ فإذا الحب بكاء ودموع ولا شيء غير البكاء والدموع. ولن يصاب الحب بالمسخ فوق هذا المصاب، ولن يبلى هذا البلاء إلا حين تشيخ الأمم ويصيبها الانحلال. ومن هنا نحن نشتد في مقاومته خيفة أن يصدق نذيره في شعب يهم بالنهوض!

إن للحب ألواناً وأغاطاً، وإن له صعوداً وهبوطاً، وإقبالاً وإدباراً، ولذة وألماً، وفيه رجاء وقنوط، ويقين وشكوك، وجموح وانحسار، وقلق واطمئنان؛ وهو في كل حالة من حالاته يثير أحاسيس وبلهم تعبيرات.. فأين هذا الغنى كله من ذلك الفقر المدقع في عواطف الشعر والغناء، ومن ذلك الثوب الواحد الذي يرتديانه في كل حال؟

ووراء الحب عوالم أخرى من مباهج الحياة، ومجالي الأطياف والظلال، ومعارض الصور والأشكال، في الطبيعة والكون؛ فأين هذا كله في الموسيقى والغناء؟

* * *

أيتها الأمة: إن هؤلاء الذين يهتفون لك بأحط غرائزك؛ ويتملقون فيك أردأ أحاسيسك، ويخاطبون عندك أسوأ وجداناتك، هم جماعة من التجار المرجين، يختلسون إعجابك، وينهبون نقودك، ويجزونك على هذا بنشر أسباب الانحلال، وبث عوامل التفكك. وغريزة الدفاع عن النفس في أبسط صورها كفيلة أن تنبهك أيتها الأمة إلى الذود عن نفسك، وإلى نبذ كل من يخاطبك بغير ما تخاطب به الأمم الناهضة والشعوب الكريمة

وإلى اللقاء — أيتها الأمة — حين تقع المعجزة فينهض فيك فنان في عالم الموسيقى والغناء.

سيد قطب

الحياة الزوجية

من الوجهتين التشريعية والاجتماعية

تأليف الأستاذ محمود علي قراعة المحامي

من موضوعات الكتاب: على هامش الحب والزواج، كلمة الحب، تطور الحب، سقطات الحب، مرض الحب، المرأة والحب، الحب شغل المرأة الوحيد، مقدمة الحب، كسب الحب، من هو الحبيب؟ ما يجب قبل الزواج وبعده؟ الاستعداد للزواج، أزمة الزواج، اغلال المعاني الأخلاقية في النفوس، تعقيم الضعاف، النزل، منع الحمل، الزنا، الواط، كيف تهوى الفتاة؟ كيف يفسد الفتى؟ المثل الأعلى للزوجين، مساوىء الاختلاط، واجب الزوج، أحكام الحياة الزوجية في الشريعة، أركان الزواج، موانع الزواج، المحللات والمحرمات، تعدد الزوجات وتقييده، المهر، الجهاز، النفقة، التفريق للضرر، الطلاق، الخ...

يقع في ١٨٠ صفحة على ورق ممتاز وثمنه ٦ قروش صاغ.

والبريد ١٫٥ قرش ونصف

ويطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد علي بمصر

المتعاظم الصغير أيضا

أحب من أعرف من القراء هذا المتعاظم الصغير وما منهم إلا من يراه فيما قرأ عذب الروح خفيف الظل ، رقيق كثافة ويلطف روحاً ، حتى لتكاد ألا تراه إذا وقعت عليه العيون

جلست ذات يوم مع كبير من أصحاب الديوان ، جئته زائراً فخصب ، فراح — ولعله ظن أني جئته لأمر — يشكو إليّ من كثرة من يجيئونه من طالبي الوظائف لأقاربهم والمحسوبين عليهم من الناس ، وقال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة : والعجب أنه كثيراً ما يطلب إليّ ذلك من لا أكاد أعرف أشخاصهم ، فمن هؤلاء من يرى أن مجرد رؤيته إياي مرة في أية مناسبة ، كفيل بأن يجعل له حق الوساطة لدي !

وما كاد يتم صاحب الديوان عبارته ، حتى ناوله حاجبه بطاقة فنظر فيها نظرة المتأمل وقطب ، ثم ابتسم مثل ابتسامته السالفة وقال لحاجبه في شيء من الضجر : أدخله . . .

وفتح الباب ، ونظرت ، فإذا المتعاظم الصغير يقبل متهللاً فيسلم على صاحب الديوان سلام الصديق على صديقه ، وبعد أن سأله كيف حاله وكيف حال أعماله ، وأعاد ذلك مرة ومرة ، ودنا منه وكلمه كلاماً لم أسمعه ، وإنما رأيت في معارف وجهه التوسل والاستعطاف الشديدين ؛ وأنصت صاحب الديوان وعلى وجهه أمارات من يكظم غيظه ومن يعاني من ذلك ضيقاً شديداً ، ثم نفس عن نفسه بقوله : « يا سيدي الأستاذ هذا ضد القانون » ولكن الأستاذ راح يتوسل من جديد في ابتسامات قردية السمت ، وحركات من لَيّ العنق وإدارة الوجه : مرة إلى اليمين ومرة إلى الشمال ، أشبه بما يفعل معك أحد الشحاذين إذا ابتليت به فقطع عليك طريقك

وما فرغ الأستاذ من مسكنته هذه إلا بعد أن راح صاحب الديوان يكرر — وكأنه يصرخ — قوله : « آسف يا سيدي ... يا سيدي قلت لك آسف ... لا تؤاخذني ... آسف ... آسف »

وبلغ المتعاظم الصغير منتهى عذوبة روحه وخفة ظله ، فراح يلقي في روع صاحب الديوان أنه يعرف فلاناً وفلاناً ، وأنه له عند « سعادة الوكيل » مكانة خاصة ، وأن من أصدقائه كيت وكيت من العظماء والكبراء ، وأنه ما جاء يرجو « سعادة البك » إلا لما عرف من كرمه وبره ، ثم سأله ليتعلى خجله أو ليحفظ على نفسه تعاظمها وقد يئس من التوسل ، أيجيب طلبه إذا ظفر بموافقة سعادة الوكيل عليه ؟

وإذ ذاك نهض صاحب الديوان فمد إليه يده يسلم عليه أو يصرفه على الأصح وهو يقول مبتسماً : « يا أخي إن من يعرف هؤلاء لا حاجة به إلى أمثالنا » — ولم يجد المتعاظم بداً من الخروج ؛ ونظرت إليه وهو يهز اليد التي امتدت متراخية إليه هزاً قوياً حماسياً ، فلم أر في وجهه شيئاً من خجل أو اضطراب ! ...

ونظر إلى صاحب الديوان وهو يتنفس الصعداء الطويلة قائلاً وقد رأى في وجهي الاستفهام : « تالله يا أخي ما أذكر أني رأيته من قبل ولم أعرف اسمه ولا وظيفته إلا من بطاقته » !

وانصرفت من لدن صاحب الديوان فررت بذلك المتعاظم وقد وقف في ردهة من ردهات الديوان يحيط به بعض الرفيقين وسمعته يقول لأحدهم : « خلاص يا مصطفى مسألتك انتهت وستعين قريباً ... أما أنت يا حسن فأنا ذاهب إلى سعادة الوكيل من أجلك الآن ... وأنت يا علي فكرني بكره ... فين عبد السميع ؟ موضوعك ينتهي قريباً إن شاء الله ، اطمئن ... »

ومضى المتعاظم الصغير مرفوع الرأس شامخ الأنف يسراه في جيب سرواله ويمناه يلوح بها مسلما على من يعرف ومن لا يعرف ممن يمر بهم من صغار أصحاب الديوان وكثيراً ما كان يكتفي بإيماءة من رأسه العالي أو ابتسامة من ابتساماته المذبة وإن لم يفطن إليه بعض من كان يجود عليهم بهذه التحيات أو كان يحسبها بعضهم موجهة إلى غيرهم لأنهم يجهلون صاحبها ، وفي نفسه أنه علم يشار إليه أينما سار ؛ وكان كما زعم متجهاً للقاء سعادة الوكيل وإن كنت لأعلم حق العلم أنه لا يعرف من سعادة الوكيل إلا اسمه وموضع حجرته من حجرات الديوان

الخفيف

خصومة لا عداوة

رأى جماعة من كبار المفتشين وهم الأساتذة جاد المولى بك ومحمد علي مصطفى ومحمود محمد حمزة ومصطفى أمين وأحمد علي عباس، رأى هؤلاء الأكابر بأخلاقهم وآدابهم أن أقف الجدال الذي أثرته في وجه الأستاذ السباعي بيومي، وحجتهم أنه وصل إلى درجات من العنف تؤذي كرامة المشتغلين بخدمة اللغة العربية

وأنا أجيب هذه الدعوة، لأنها أول دعوة كريمة صدرت لكف الشر بيني وبين من أخاصمهم بقلمي لا بقلبي، فلم أسمع مثل هذا الصوت يوم خاصمت رجالاً أعزاء لم يكن يسرني أن يفصم القلم ما بيني وبينهم من عهود

وإنصافاً لنفسي أقول: إني كتبت ما كتبت وأنا أبتسم. فأنا قد أخاصم، ولكني لا أعادي. فما استطاعت الدنيا بأحداثها الفواتك أن تضيفني إلى أرباب الضغائن والحقود، وإلا فما هي البواعث التي تفرض أن أخص الأستاذ السباعي بالعداء وهو صديق قديم؟

أنا أتهم بالقسوة والعنف بغير حق، فما كان من همي في كل ما أثرت من الجادلات إلا إيقاظ الروح الأدبي واللغوي. أما إيذاء الأدباء والباحثين فهو معنى لا يمر بخاطري، لأني أرجو دائماً أن يكون الهدم على عنفه من صور البناء

كان سبب الخلاف هو تبرئة الشيخ المرصفي من تهمة الغرور فما يكون الرجل مغروراً إلا حين يدعي ما لا يملك، والمرصفي من أقران المبرد، وجهد المرصفي في شرح الكامل قد يكون أعظم من جهد المبرد في تأليف الكامل، وستعرف هذه الحقيقة يوم يقام في هذه البلاد موازين صحيحة لأقدار المفكرين في القديم والحديث...

أنا أديت واجبي في صيانة سمعة الشيخ المرصفي، فماذا صنع تلاميذ هذا الإمام الجليل، وفيهم أحمد حسن الزيات، ومحمود حسن زناتي، وعلي عبد الرازق، وطه حسين؟

ولكن كيف يصنع أولئك الأساتذة في البر بذلك الإمام الجليل...؟

أنا أدعوهم إلى تأليف لجنة أدبية يكون عملها إنقاذ مؤلفات الشيخ المرصفي من الضياع. وأخص بالعناية شرح المرصفي على «أمالي القالي» فقد أخذ من وقت شيخنا العظيم سبع سنين، وهو لا يقل عظمة عن شرح الكامل، وقد يفوقه في أشياء

منذ نحو ثلاث وعشرين سنة وقف الخطباء والشعراء في المدرج الذي أنشأه الوزير علي مبارك باشا في ديوان المعارف بدرب الجاميز، وقفوا يرثون الشيخ حمزة فتح الله، وكان فيهم محمد الهراوي وعلي الجارم ومحمد الخضري، ثم وقف خطيب ختمت خطبته بالدمع، فمن هو ذلك الخطيب؟

هو الأستاذ الشيخ محمد المهدي بك، أول أستاذ تلقيت عليه دروس الأدب بالجامعة المصرية؛ فقد كان في خطبته أن جماعة من المستشرقين أرادوا أن يشتروا مخطوطات الشيخ حمزة فتح الله وأنه أجاب: هذه المخطوطات ملك لوطني!

وقد بكى الشيخ المهدي فأبكاني حين فاه بهذا التصريح النبيل

وأنا من جانبي أذكر أن الشيخ المرصفي كان يصلي العصر بالأزهر منذ نحو عشرين سنة وبجانبه رجل يترصده من جماعة الناشرين؛ فلما انتهى الشيخ من صلاته أقبل الناشر يقول: أرجو فضيلة الشيخ أن يبيعنا حق النشر لشرحه على الأمالي. فصرخ الشيخ: هذا شرح لا يشتريه إلا ملك!

وكان ذلك آخر العهد بشرح المرصفي على الأمالي، ومصر لا تخلو من عقوق إلا أن يتفضل أستاذنا الشيخ محمد مصطفى المراغي فيشتري هذا الشرح من الورثة قبل أن يضيع كما ضاعت مئات وألوف من آثار أصحاب الفضل بهذه البلاد

إن نفعت هذه الفرصة بعض النفع في إنقاذ بعض مؤلفات الشيخ المرصفي فسيكون من حق نحو ضميري أن أتناسى الإيذاء الذي صوبته إلى الأستاذ السباعي بيومي، وإلا فسأذكر أني أهنت رجلاً وادعاً بلا نفع ولا غناء، فما آثرت ميدان النقد الأدبي إلا لغرض نبيل هو إيقاظ النواقي من العواطف والقلوب

المهمّ هو الظفر بنفع محقّق لخدمة اللغة العربية ، فأين من يستمعون هذا الصوت فينقذون مؤلفات الشيخ المرصفي من الضياع ؟ وأين من يذكرون أن الشيخ المرصفي كان أول رجل أقام دولة للأدب واللغة في مطلع العصر الحديث ؟

أما العبارات التي آذيتُ بها الأستاذ السباعي بيومي والتي استوجبتْ أن يتوسط بيني وبينه أولئك الأكابر من المفتشين ، وهم لي وله إخوان ، فأنا أراها عبارات هينة رفيقة ، على شرط أن تنبه الغافلين من تلاميذ المرصفي العظيم ، وإلا فهي إثمٌ اجترحتُه في بلاد لا تعرف حقوق الرجال .

زكي مبارك

تصويبات

حضرة الأستاذ الجليل صاحب (الرسالة)

١ — قرأت في العدد ٣٩٧ من الرسالة الغراء كلمة للدكتور زكي مبارك ، توجيهاً لغلطة في ضم الظاء من كلمة (الظرف) . فقد قال : « أنا أقول إن الظرف قد أخذ حكم اللطف من طريق الإتباع ، ثم بقي له الحكم مع الانفراد ... والمصريون عرب ، وهم لا يخطئون في لغتهم عن جهل ، وإنما (يخطئون) لأسرار قد تخفى على بعض القراء ، فنتوهمهم مخطئين وهم على صواب » الخ ما قال

ومعنى هذا كله أن الدكتور قد أخطأ ، فشقّ عليه أن يعترف بالخطأ ، فراح يتلمس أمثال هذه العلل . نحن لا ننكر أن جمهرة المصريين من أصل عربي ، وأن لغتهم تتكون من لهجات القبائل العربية التي نزحت إلى مصر ، وأنها تشتمل على كثير جداً من الفصيح ، وعلى كثير جداً مما يحتاج إلى يسير من التهذيب والصقل حتى يعود صحيحاً . ولكنا ننكر أشد الإنكار أنهم لا يخطئون في لغتهم ، بل الخطأ والتشويه فاشيان في صميمها . وما ظنك بأمة خالطت الأعجام من كل جنس قروناً وأحقاباً طوالاً ، ولخطر المخالطة والامتزاج جَدّ السلف من اللغويين في ضبط اللغة ووضع قواعدها وجمع مفرداتها من أفواه العرب الخلّص ، حفاظاً عليها من أن تتسرب إليها العجمة والتشويه . أفبعد كل هذه المخالطة والامتزاج نجرُؤ أن نحتج بكلام المصريين وضبطهم للألفاظ ؟

ألا إن هذا المذهب إغراء صريح للشباب بالاستهانة بالبحث وأخذ اللغة من مصادرها الصحيحة

وقد أذكرني هذا أني رأيت في الرسالة منذ قريب كلمة لفاضل نبّه فيها الدكتور على أنه من غير الصواب أن يقول : (أمكن له) لأن الفعل متعد بذاته ، ولكن الدكتور لم يجبه . وبينما كنت أتصفح الدكتور من بعد ذلك مقالاً في (الرسالة) ، وجدته يُؤثر الخطأ نفسه ، حتى لا يقال — فيما أظن — إنه اعترف بأنه أخطأ . وقد يجيب الدكتور عن هذا بأن المصريين يقولون : « أمكن له » فهو صحيح !

٢ — نشب حوار في (الرسالة) بين الدكتور زكي مبارك والأستاذ إسماعيل مظهر حول معنى (الجيل) . فأنكر إسماعيل مظهر المعنى المتعارف للجيل ، وهو أهل الزمن الواحد . وقال إن الكلمة التي تؤدي هذا المعنى هي (الأهل) ، وساق نصاً من الأغاني يؤيد رأيه وقال — مستنداً إلى ما اطلع عليه من المعجمات — إن الجيل هو الصنف من الناس ، فالمصريون جيل ، والترك جيل ... الخ ، وأصر الدكتور زكي مبارك على أن المعنى المتعارف يُقصد أيضاً من (الجيل) ، ووعد بمواصلة البحث حتى يأتي بالدليل . ولكنه لم يأت به بعد

وإني أدله على دليل : ففي (المصباح المنير) في مادة (ق ر ن) ما يأتي : « والقرن الجيل من الناس . قيل ثمانون سنة . وقيل سبعون » فأنت ترى أن للجيل معنيين قد نُص عليهما

أما (الأهل) التي أتى بها الأستاذ مظهر من الأغاني فيظهر أنها قد تنوسيت لذلك المعنى . فأهمل استعمالها

٣ — قرأت في مجلة « الثقافة » كلمة تحت عنوان : (مفاتح جمع مفتح لا مفتاح) قال فيها الكاتب بعد كلام : « والواقع أنه « أي مفتاح » جمع مفتح بالكسر . وهو الآلة التي يفتح بها . أو جمع مفتح بفتح الميم . وهو المكان لا جمع مفتاح ... الخ . ولو كلف الكاتب نفسه المراجعة لما قال هذا القول . ففي المختار : « والمفتاح مفتاح الباب . وكل مستغلق . والجمع مفاتيح ومفاتح أيضاً » . وفي هذا كفاية . ولا ضرورة لهذه الفلسفة الصرفية التي لجأ إليها الأستاذ الكاتب

ع

صواب بيت

في عدد مضى من الرسالة، كتب الأستاذ الباحث «عبد المتعال الصعيدي» كلمة قصيرة، بعنوان خطأ بيت في النحو، اتهم فيها علماء النحو — جميعاً — من يوم أن كان هذا الفن بالبصرة والكوفة إلى أن باض وأفرخ في صحن الأزهر الشريف، ونسب إليهم من السهو والغفلة الكثير الجم، إذ أجمعت مؤلفاتهم وأفكارهم على أن «أو» في البيت:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى

فما انقادت الآمال إلا لصابر

بمعنى «حتى» التي هي للتعليل أو الغاية وقد هداه بحثه إلى أن هذا المعنى الذي جاءت له «أو» لم يكن واحداً مما استقصاه ابن مالك في قوله:

خير أبح قسم «بأو» وأبهم

واشكك واضراب بها — أيضاً — نمى

وربما عاقبت الواو إذا لم يلف ذو النطق للبس منفذا

والذي يقرأ الكلمة لأول وهلة، يخيل إليه أن الأستاذ هدم ما بنى البانون، ونقوض ما شيد المشيدون في حين أن المسألة — كما يقولون — ليست مما يقال في أمثالها «قضية ولا أبا حسن لها» فإن هذا الذي يقوله ابن مالك، خاص (بأو) التي تتمحض للعطف ... أما هذه فإنها تكون بمعنى (إلى) إذا كان ما قبلها مما ينقضي شيئاً فشيئاً كالبيت المذكور ... وتكون بمعنى (إلا) إذا كان مما ينقضي دفعة واحدة ... كقول زياد الأعجم:

وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيما

وتكون بمعنى (لام التعليل) كما يقول القائل: لأعطين الفقير أو يرق لي قلبه ... على أننا لو رحنا نتلمس (لأو) في كل هذه الأمثلة معنى حرف من الحروف التي جمعها صاحب (الألفية) في بيته — خير أبح إلخ — لما ضاقت علينا السبيل

وهل المعنى في البيت (لأستسهلن الصعب) سوى «ليكونن مني استسهال الصعب وإدراك المنى» ... وهكذا دواليك ... وقد كان مما يؤثر عن علمائنا، أن نكت النحو — كالورد — تشم ولا تدعك.

ابراهيم علي أبو الخشب

حاليـــا في محـــلات

سـليم وسمـعان صـيدناوي

وشركاهم ليمتـد

الفرصـة السنوية العظيمة بعـد الجرد

تنزيل هـائل في عموم الأقسام

كميات كبيرة من البضائع على أنواعها كلها واردة حديثا

تعرض بأسعار التصفية للاعلان

٢٠ ٥ ١٦

مازبـــا . . .

للأستاذ محمد محمد مصطفى

ليست قصة الصبي البولوني « مازبا » من نسج الخيال . فلا تزال حوادثها مصورة على جدران كنيسة « سانت ماري » في مدينة « جالاتز » برومانيا .

قالت الأميرة « أوجستا » لخادمها وهي تحاوره :

— إني لأعجب من أمر الصبي القائم بباب قصري لا يبرح مكانه منه إلا ليطوف طرفه بنوافذ غرفتي ، فإن عرضت لي حاجة خارج القصر علق بي نظره ما يرتد إلا إذا غبت في حشد الطريق .

فقال الخادم : إنه مازبا يا مولاتي

— ومن يكون مازبا ؟

— هو شريد غريب الأطوار طالما رقت له قلوب الناس ولكنه يمتنع عن أن يناله أحد بعطف أو إحسان إلا أجراً لخدمة يؤديها

— وما مقامه ببابي ؟

وأرتج على الخادم ولوى شدقيه بكلمات لم تدرك منها الأميرة شيئاً . وكانت لحظة هائلة على الخادم المسكين ، أيكذب على سيدته وما كذب في حياته قط . . . أم يقول الحق . . . وياله من حق . . .

أيقول لها إن هذا الشريد هائم بك قد تناهى كل جمال في دنياه إلى صورتك لا يقوم إلا بها ولا يغمض عينيه إلا عليها ؟ أيقول لها : إن قلبه لا يفتر عن الوجيب كلما خطرت أمامه خارجة من القصر أو عائدة إليه ؟ أيقول لها إنها سافرت إلى الريف أياماً قضاها البائس بين سعير وجده ولهيب حبه ؟ أيقول لها إن المدينة كلها تتندر بغرامه وشغفه ؟

وقال الخادم أخيراً :

— سليه يا مولاتي فهو أقدر مني على الجواب الصحيح

* * *

وخيل لمازبا أن الدهر قد مالأه وأن كل شيء في الوجود يبسم له حين دعاه الخادم للمثول بين يدي الأميرة ، وكان بذرع الأبهاء لا تأخذ عينه تحفة ، ولا يستوقف نظره أثاث . . . كان كل شيء يبدو في عينيه طبيعياً كأن له به عهداً . ولما أشار الخادم إلى غرفة الأميرة شحب لون الصبي قليلاً ولكنه واصل السير ، وقالت له الأميرة : أخلت رقعة الأرض من مكان يأويك فجئت تصوب إلي كل حين نظرة المتحين للشر ؟

— شر ! . . . إني لا أحب الشر ومع ذاك فأنا . . . ومن أنا حتى أملك للأميرة شراً ؟

وسمعت الأميرة ضجة خارج غرفتها فسألت الخادم عنها فقال :

— إنهن أتراب مولاتي أتين للسمر . فقالت : دعهن يدخلن

وحينما دخلن على الأميرة شدهن وفغرن أفواههن وصاحت إحداهن : يا لمعجزة الحب . . . لقد وصل العاشق الشريد إلى مخدع الأميرة . وقالت أخرى :

— بالله لنتركهما يتناجيان فنسمع نجواهما . . . يا للمنظر الفريد والحدث الفذ !

وعلت قهقهتهن والأميرة تنظر ولا تدرك شيئاً من حديثهن ثم قالت : إنه مازبا يا رفيقات . يبدو أنكن تعرفنه فصحن جميعاً :

— وهل في المدينة من لا يعرفه ؟

فقالت الأميرة : لقد كان يرسل إلي كلما صرت به نظرة أفاق فأوجست منه شراً . فقلن :

— كيف ! ألا تفرقين بين النظرات ؟

وأمرت الأميرة خادمها أن يطعمه ويكسوه وأضافت :

— ولكنك يا مازبا ستقيم بعيداً عن القصر فلا تعد إلى مكانك منه مرة أخرى

فقال الصبي : بالله يا مولاتي . . . دعيني . . . لا أريد طعاماً ولا رداء ، ولا تحولي بيني وبين مكاني فما في الأرض مكان أحب إلي منه ، وما وجودي به يضارك شيئاً

فرقت له نفس الأميرة وقالت : لك ذلك يا مازبا

وحينما هم بالسير قالت إحدى رفيقاتها :

— مسكين ! لقد شفه الهوى وأضناه الحب .

ودهشت الأميرة ونادته ثانية وقالت :

— أصحت يا مازبا . . . إنهن يقلن إنك عاشق مدنف . . . فمن ترى تلك السعيدة التي سلبتك قلبك ؟

وأخذت أذنا المسكين تتجاوب صدى ضحك الفتيات وقد سمر في مكانه لا ينبس ولا يطرف ، وطال صمته والفتيات ينظرن إليه ويضحكن . فقالت الأميرة :

— تكلم يا مازبا . . . من هي تلك السعيدة . . . أتكون بائعة

الزهور أم بنت بواية المنزل الواجه لقصرنا ؟

فقال الصبي : لا هذه ولا تلك

— فمن تكون إذاً ؟

— إنها فتاة كبدر السماء أنظر إليها ولا أطمع فى قربها . يغمرها الترف الذى نشأت فيه ، وتغمرنى الأحزان التى ولدت فى أحضانها . على أنه إذا كان ذلك بلاء بليت به فما أسعدنى بهذا البلاء ، وما أكثر جذل حين أرقب وجهها فى الليالى القمراء كأنها ملك هابط ، أو كأنما قد فرت من الجنان حوراء

وأدركت الأميرة من كلام الصبي وضحك أترابها وتدلله عيناه وخفق قلبه المتدارك أنها معشوقة ذلك الهزأة الشريد فانتفضت كمن مسها الخبل وصفعته صفعة طار لها صوابه ، وأمرت الخادم أن يربطه حافياً على ظهر فرس يطلقها إلى غير وجه فى براري الدانوب

وكان وجه مازبا إلى السماء ، والفرس تنهب به أرضاً عذراء لم تطأها قدما إنسان ، وظلت فى الفلاة أياماً ، ثم ظهر لعينيها العمران فاتجهت إليه مسرعة كأنما كانت تحس أن حملها لاغب وهنان . ولما اقتربت الفرس من مضرب قبيلة (ساشا) القوقازية اشتد عليها نباح الكلاب . وسرعان مارفع الخبر إلى زعيم القبيلة (دروفسكى) الذى انطلق يسائل مازبا عن قصته ، ولكن الصبي كان لاه عن لغطهم وأسئلتهم بما قدم إليه من حساء وشواء ، وكان لا يفتأ يسأل بين الحين عن فرسه وما قدم إليها من علف وماء .

وقال مازبا بعد ما طعم وروى : أشكر لكم أيها السادة هذا الطعام وهذا الكساء وأستودعكم الله . . . إلى اللقاء

فقال زعيم القبيلة : إلى أين يا مازبا ؟

— إلى أين ؟ حقاً إلى أين ؟ عفواً أيها الزعيم فإنى لا أعرف إلى أين أذهب . فقال دروفسكى :

— يا بنى . إن امرأتى عاقر ولم أعقب ولداً وقد أرسلك الله لى فلا تخفر ظنى فيك

— لك ذلك أيها الزعيم على ألا تسألنى عن ماضى لأنه قد تصرم وطواه الظلام .

وبدت طلائع الفجر ولما يرقأ لعين الأميرة دمع ، وطفقت تحدث نفسها : أى ذنب جناه الصبي لأميته على الصورة التى أوحاها لى غضبى ونزق . أحديث حبه السامى وتدلله بى . لقد أتيت أمراً إدّاً . وعاشت الأميرة ساهمة واجمة يروعها طيف الصبي يلاحقها فى الغدو والرواح

ولا نقول أن مازبا قد سلاها ، ولكنه طرحها فى زاوية معتمة من زوايا قلبه ، وراح ينسج عليها الزمن خيوط النسيان

وتحجرت عاطفته ، فوجه كل حبه إلى وطنه الجديد ، وتعلم الفروسية على فرسه وعلمها لشباب قبيلته ، وأكسبته فطنته ودرايته ومكانته من زعيم القبيلة مهابة كان يزيدها عزوفه عن النساء وبغضه لهن ، وكان الزعيم الكهل يفرك يديه سروراً كلما رأى مازبا جالساً على محفته يحكم بين الناس بالعدل ويصرف الأمور بعزم الشباب وحكمة الشيوخ . وحل موعد جباية الضرائب فى عام كان الناس فيه يمترون ، فجأرت القبائل بالشكوى قائلين : يا مازبا ، كن شفيعنا لدى بطرس الأكبر ليرفعها عنا . إنك بمواردنا عليم

ويأسى مازبا لبنى وطنه الجديد ولا يدرك فيم تنفق الأموال التى تأخذ منهم قسراً لتحشر فى خزائن بطرسبرج فيتصل بزعماء القبائل يحضهم على العصيان والإبقاء على أموالهم قائلاً فى حماسة :

— فليأت هذا البطرس هنا ليأخذ منا ضرائبه عنوة إن شاء . يا شباب القوزاق : أفيقوا من سورة الخمر وسحر النساء ، وهبوا لنشعل أوار المعركة لتظفروا بالحرية والمجد

وهكذا نفث مازبا فى روح القبائل جمراً من الوطنية يستعر ورغبة جامحة إلى خوض ميدان القتال . وكان بطرس الأكبر داهية أريب ، فأقام ليلة عيد الميلاد حفلاً هائلاً دعا إليه الملوك والأمراء من كل قطر ومصر ، واستدعى إليه مازبا وأمنه على نفسه ووطنه ووعده بالنظر فى رفع ضريبة الدولة على أن يظل القوزاق تحت حكم الروس

وكان القصر الإمبراطورى شملة تتوهج بين الدوح الباسق والرياض المزهرة ؛ وقد نشرت الصحاف مثقلة بالفذ الشهى من ألوان الطعام ، وقام وزير الخارجية بتقديم المدعوين إلى بعضهم ، فهؤلاء مندوبو فنلندا واستونيا والقابعون على الشراب فى البهو الخشبى حكام سيبيريا والقادمون علينا يامازبا أمراء وأميرات بولونيا

بولونيا ... وقبض مازبا على صدره كأن طعنة أصابته ؛ فذعر وزير الخارجية وقال : أبك شىء يا مازبا ؟

— لا ... لا ... إنه جرح قديم ... قديم جداً ولا أدرى كيف آلمنى الساعة

واقتربت أميرات بولونيا ، وكان أبرز ما فيهن جمالاً أوجستا وشخص مازبا إلى وجهها المتلألئ ، فانبعث عزام عشرون عاماً من قلبه كبركان ثار بعد طول رقاد ...

وعرفته أوجستا ، فجاءته على استحياء ، ومدت إليه يدها ،

وقد تضرج وجهها وخشع طرفها وانتحت به ناحية ، وأخذت تخالسه النظر ، وازدحمت الكلمات على شفتيها ثم قالت : كأني بك طفل الأمس يا مازبا ، لم تغير من معارفك الحدثان

— طفل الأمس ... إنه مات في براري الدانوب

— وقلبه وحبه ؟

— كلاهما معاً ...

— ولكني أرى بريق عيناك والتماعها بتلك المعاني الغامضة

— تلك أوهام ...

— إنك تجاهد غرامك يا مازبا ، ولقد لقيت قصاصي بما سهرته من ليال أذرف الدمع على ما قدمت يداي . فهل أنت مقيل لعثرتي؟

— ما كان لي أن أصفح عنك ولا أرى لك ذنباً

— ألا زلت تحمل لي موجدة ؟

— لا ... ولكني أوصدت قلبي دون النساء ، ثم أني على موعد مع القيصر ، فاستودعك الله ...

— مهلاً يا مازبا ...

ولكنه انسل بين الأضياف ، وحينما بعد عنها حدث نفسه :

كادت المرأة تصرعك يا مازبا ... أيها القلب الخائن ، لن أصغي لحديثك المعسول مرة أخرى ...

لقد عاهدت نفسي على خدمة وطني الذي أطعمني حين حرمتني هذه المرأة ، وكساني حين جردتني ، وآواني حين أطلقت بي فرساً تنهب بي البراري . فليكن جل تفكيري فيك ولك أيها الوطن أما أنت يا أوجستا ، فسأحاربك في قلبي حتى تموتي فيه

وانطلق في طريقه حتى مثل بين القيصر

وقال القيصر لمازبا : قد رفع إلينا قرار المالية فلم نجد بداً من استمرار الضرائب ، فهل تعدني بشرفك أن تقوم على جبايتها ؟

— لقد أقسمت لمواطني أنكم سترفعونها

فقال القيصر لمن حوله : اقبضوا على هذا السيد

وألقي مازبا في حجرة ببرج القصر تحوطه الأحراس ، واندلعت الثورة في القوزاق من أقصاها إلى أقصاها ، وأرسل بطرس الأكبر حملة لإخمادها فزادت النار اشتعالاً

وكان الليل قد لف الكون بغلالة سوداء ، والقصر ساكن حينما اعترض الأميرة أوجستا حارس البرج ، فأبرزت له أمر القيصر فتخلى الحارس عن الباب . وكان مازبا يقف هادئاً إلى نافذة البرج كأنما ينتظر أحداً أو كأنه واثق من نجدة القوزاق ، وقالت أوجستا :

— تبعت القيصر في كل مكان ولم أبرح مقصورته في الأوبرا حتى وقع على صك العفو عنك ، وقد وعدته أن تتسم لي على طاعته فيما آمرك به . فقال :

— لقد سمع القيصر أني لا أقسم على ذلك

— إن وطنك الجديد في حاجة إليك يا مازبا ، فقم الساعة وأخمد فتنته ، وانج بنفسك فإنك لا تدرك أي حتف سيلقاه إن بقيت هنا ليلة أخرى

واستقبل مازبا استقبال الفاتحين ، وكانت الفتيات ينثرن في طريقه الورود والرياحين ، وكان ألمه بادياً لما حل بقومه على يد جنود القيصر . فقابل قائد الحملة وطلب منه أن يرحل فوراً عن أراضي القوزاق ، وقال قائد الحملة إنه موفد من قبل القيصر وليس لأحد أن يأمره سواه . فقال مازبا : إذاً هي الحرب

وطلب القائد من بطرس الأكبر مدداً سريعاً فأرسل إليه جيوشاً جرارة لم تصمد لها جموع مازبا التي دافعت عن وطنها دفاع الأبطال وأحرقت عاصمة القوزاق وانتقم منهم جنود القيصر أبشع انتقام . وفر مازبا إلى سلطان تركيا عدو القيصر ليجيره ويمده بعتاد يستطيع بها مواصلة القتال ولكن السلطان اعتذر له ونصحه بإلقاء السلاح . وهكذا تخلى الحظ الباسم عن الزعيم الشريد فصوحت به الأيام من بلد إلى بلد يقلح الأرض لهذا ويحتطب لذاك

وكنت تراه بوجهه الكابد قابعاً في أسماله ومزقه يصطلي النار التي يضرمها في إحدى الخرائب فلا تصدق أنه ذاك الذي كان يغشى الولائم في أبهة الأمراء

وفي قرية (كييف) عثر حطاب في الغابة على جثته فأمر قسيس القرية بإلقائها في مقبرة المجهولين الغرباء

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

إدارة البلديات — تنظيم

تقبل العطاءات لغاية ظهر ٤١/٣/٢٦
ببلديتي المنيا والمحلة الكبرى عن توريد
شعير وتبن . وتطلب الشروط من كل
منهما نظير مائة مليم ٧٨١٧

مطبعة الرسالة — ٨١ شارع السلطان حسين عابدين . القاهرة